العدد التاسع

السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات
١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة
وللطلاب	
٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد

يضاف اليها أجرة البريد خارج القطر

ذو القعدة سنة ١٣٧١ — يوليه سنة ١٩٥٢

هذا القرآن

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

قرأت قول الله تعالى « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

قرأت هذه الآيات ووقفت عندها وتأملتها . كانت هذه وصاته تعالى لآدم وزوجه حين أخرجهما من الجنة وأهبطهما إلى الأرض فهى من أقدم الوصايا على الإطلاق لذلك كانت خليقة بأن تكون سنة كونية — لا يتخلف مدلولها عن أحد من خلقه تعالى فى أى حال من الأحوال — والقرآن ملىء بالسنن الكونية : أى القواعد من مثل واحد وواحد يساوى اثنين وخمسة فى ستة يساوى ثلاثين ، أشياء ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . وهذه السنن الكونية والله أعلم وضعت لإرشاد الخلق إلى الحق . لأن

العدد التاسع

السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات

١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة
وللطلاب	
٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة البريد خارج القطر

ذو القعدة سنة ١٣٧١

يوليه سنة ١٩٥٢

هذا القرآن

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

« إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

قرأت قول الله تعالى « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

قرأت هذه الآيات ووقفت عندها وتأملتها . كانت هذه وصاته تعالى لآدم وزوجه حين أخرجهما من الجنة وأهبطهما إلى الأرض فهى من أقدم الوصايا على الإطلاق لذلك كانت خليقة بأن تكون سنة كونية — لا يتخلف مدلولها عن أحد من خلقه تعالى فى أى حال من الأحوال — والقرآن ملىء بالسنن الكونية : أى القواعد من مثل واحد وواحد يساوى اثنين وخمسة فى ستة يساوى ثلاثين ، أشياء ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . وهذه السنن الكونية والله أعلم وضعت لإرشاد الخلق إلى الحق ، لأن

الإنسان قد يجد لنفسه عقلا يفكر ويدبر ، فيذهب به الشطط إلى الظن بأنه قادر على كل شيء بتفكيره وتدبيره وأنه يستطيع أن يمضى فى هذه الحياة بما يوحى إليه عقله من خير يحسبه شراً وشر يحسبه خيراً؛ لذلك وللحد من سلطان هذا العقل وضع الله تعالى تلك السنن الكونية للانسان العاقل ليهتدى بها ويسير على رشدها ، كما وضع لسائر مخلوقاته من النواميس ما هو ثابت دائم كالشمس والقمر والكواكب والنبات والحيوان وما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . كل ذلك لو تأملته لوجدته يسير على سنن لا تتخلف أبدا فكذلك الإنسان وضعت له السنن الكونية فإن ائتمر بما أمر الله وانتهى عما نهى كان له جزاء الحسنى فى الدنيا والآخرة .

تأمل الآية الكريمة فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . وهدى الله تعالى ما جاءت به الرسل والأنبياء ، من اتبعه فقد نجا من الضلال والشقاء . هذا وعد من الله حق ، لو اطمأنت نفوسنا إليه ورضينا به وآمنا وعملنا بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام القائل ما تركت من خير إلا وأمرتكم به وما تركت من شر إلا ونهيتكم عنه لكان لنا عند الله ما وعد به المطيعين ولحق لنا أن نكون له من السائلين .

وتأمل الآيات الكريمة أيضا « ومن أعرض عن ذكرى (أى هدى) فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . . . » ترفيها ما يصيب المخالفين لأمر الله تعالى من جزاء فى الدنيا وعذاب فى الآخرة .

ونحن قد أتانا هدى الله على لسان نبيه الكريم فهل اتبعنا الهدى فيحق لنا ألا نضل ولا نشقى أو أعرضنا عنه فلنا — ولا تبديل لأحكام الله — معيشة ضنك؟؟ .. وقانا الله من جزاء يوم الحشر .

إن بلاد العالم الإسلامى تحكم اليوم إما بقوانين وضعية مستعارة من القوانين الأوربية لا صلة لها بالقرآن ولا بهدى القرآن ، وإما أن حكامها يدعون أنهم يحكمون بالقرآن وهم عن معانى القرآن بعيدون يحسبون أنه صلاة وصوم وحج ولا يدركون أنه مع ذلك علم وفهم وتربية وأخلاق وجهاد فى سبيل الله ومعاملة وتحقيق العدل الاجتماعى الذى كفله الله للناس على صورة لم يصل إليها الناس فى كافة عصورهم لذلك كانت دعواهم أن دستورهم القرآن من الدعاوى التى تضر بالإسلام والمسلمين أبلغ الضرر فإنها تكون مقرونة دائما بجهلهم وفقرهم وتأخرهم وتخلفهم عن ركب الحياة ، فاتخذ الناس من ذلك دليلا على أن الإسلام غير صالح لهذه الحياة ، وما العيب فى الإسلام ولكن العيب فى القائمين عليه . وبلاد العالم الإسلامى فشا فيها من ذميم الأخلاق مالا يمكن

معه أن يصدّق أن المتخلقين بها مسلمون فأكل أموال الناس بالباطل أصبح سجية فيهم : فلا يسأل الإنسان نفسه عن ماله أمن حلال كسبه فيحمد الله أم من حرام جناه فيتوب إليه ويذكر قول الرسول عليه السلام «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به» فالقمار المحرم أصبح وسيلة من وسائل الكسب التي تتراءى للناس كأنها مشروعة لفرط ما ألفوها . ولا يبالي الواحد أن يأكل مال أخيه ولا يسأل نفسه عن سبب استحلاله لماله. والرشوة والاختلاس وخيانة الأمانة أصبحت كأنها من مقررات الحياة وأنها جزء من مرتبات الموظفين وعمل العاملين — الأمر الذي تسبب عنه تعطيل المصالح العامة والخاصة لعدم ثقة الناس بعضهم ببعض .

وظلم الأغنياء للفقراء وعدم إيفائهم حقوقهم التي أمر الله زاد غنى الأغنياء وفقر الفقراء وجهلهم وأفسد الحياة الاجتماعية وأخل بتوازنها .

والزنا والفجور واستهتار الرجال والنساء وانتهاك الحرمات وشرب الخمر صار كل ذلك شيئاً عادياً يتحدث الناس بحقائقه كأنها من الأمور المباحة وبالأكاذيب فيه كأنها من دواعي الفخر .

ولا تسأل عن الكذب والنفاق والغيبة والنميمة وسخر الناس بعضهم ببعض والتنابز بالألقاب واتهام الناس بالباطل .

هذه النقائص كفيلة بهدم المجتمع . نقترفها كل يوم ولا نكلف أنفسنا أن نعرضها على كتاب الله حتى نعلم أننا أعرضنا عن هدى الله تعالى فكان جزاؤنا ما نحن فيه من ضنك المعيشة وصدق الله العظيم : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا »

ملاحظة : وقع في الآيات التي ذكرت في مقال العدد الماضي تقديم وتأخير وبعض الأغلاط المطبعية ويحسن ذكر الآيات التي وقع فيها ذلك .

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

(سورة الحجرات ١١ ، ١٢)

شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

حكم القرآن

١ — عرضنا — ببيان موجز — للمناهج القرآنية فى حماية الحريات ، وإقامة شئون الأمة بالعدل والقسطاس المستقيم ، وأشرنا إلى أن شريعة القرآن قامت على العدل ، والمصلحة ، والشورى .

وقلنا إن المصلحة لها جانبان : جانب الرحمة البينة بدفع المضار ، والرفق فى المعاملة ، وجانب النفع بجلب المنافع العامة والخاصة ، والجانبان متلازمان ، وقد بينا رحمة الله بعباده فى شرعه . ولكن أمراً شرعه القرآن ، واعتبره أعظم القربات ، وهو يبدو بادى الرأى غير متفق مع الرحمة ، وذلك الأمر هو الجهاد فى سبيل الله ، ومحاربة المشركين ، وقتال المعتدين .

فإن قوما فى هذا العصر وغيره من العصور السابقة الذين لاينطقون بالحق عابوا شريعة القرآن بأنها أباحت القتال ووازنوها بشريعة الأناجيل القائمة ، وأنها لاتبيح القتال ، وتدعو إلى التسامح ، وتقول « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » وقالوا إن الذى يتفق مع روح التدين هو السماح لاالقتال ، والعفو لاالجهاد ، وليس النبيون قواد حروب حتى يمتشقوا الحسام ، ويقودوا الجيوش ، ويقتلوا النفوس ، وهى فى الأصل قد حرم الله قتلها .

٢ — ذلك قولهم بأفواههم ، ولسنا نتعرض لما جاء فى المسيحية من تسامح مع المعتدين ، بل نتعرض لما جاء فى القرآن من شريعة الانتصاف من الظالمين . فنقول إن القتال فى الإسلام هو عين الرحمة ؛ وهو عين السلام ، وهو عين العدل .

أما أنه العدل فظاهر ، لأنه لرد الاعتداء والجانى يجب أن يذوق ثمرة جنايته ، ووبال أمره ، وللمعتدى يجب أن يرد اعتداؤه ، وليس بظالم من انتصر على من ظلمه ، ورد كيده فى نحره ، وإذا كانت بعض الديانات قد حسنت الصفح عن المعتدى فالإسلام

لم يسوغ ذلك فى الاعتداء على الجماعات مطلقا ، بل قال فى صراحة « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ، واتقوا الله » أما بالنسبة للاعتداء على الآحاد فسوغ القرآن القصاص وسوغ العفو ، ولذا قال سبحانه : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » وقال تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

وأما أن القتال هو عين السلام إذا كان رداً للاعتداء ، فلأنه لاينفى الحرب إلا الحرب ، وكما يقول العرب « القتل أنفى للقتل » ولا يُطْمِع المعتدى إلا التراخى فى رد اعتدائه ، ولا يقمعه إلا توقعه أن خصمه سينال منه ، وسيأخذه من نواصيه ، وإن الشر يستمرئ استسلام الخير ؛ وليس السلام هو الذى يقوم على الاستسلام ، إنما السلام الحق هو الذى يقوم على العزة ، والكرامة الإنسانية ، ولا يكون ذلك إلا بأخذ الأهبة والاستعداد القوى ؛ والضرب على يد الظالم، ومنازلة الشر بكل أسلحته مالم تكن إثما لاشك فيه .



وأما كون القتال فى القرآن هو عين الرحمة فإن ذلك يحتاج إلى فضل من التأمل والنظر ؛ وإن ذلك يتجلى على وجهه إذا أشرنا إلى الباعث عليه ، والداعى إليه ، ثم أشرنا إلى منهاجه ومسلكه ، ثم أشرنا إلى نتيجته وغايته ، فسنجد حينئذ أن الباعث عليه هو الرحمة ، وأنه فى أثناء القتال تظل الرحمة كالنسيم فى وسط النيران ، وكالدفء فى وسط الزمهرير ، ثم إن النتيجة ستكون رحمة وأمنا وسلاما ، فالقتال فى الإسلام رحمة من ابتدائه إلى انتهائه ، ومن مقدمته إلى نتيجته .

٣ — إن القتال فى الإسلام شرع لرد الاعتداء ، ورد اعتداء المعتدى رحمة بالمعتدى والمعتدى عليه ، فالقتال فى الإسلام فى مبعثه رحمة عامة شاملة .

هاتان مقدمتان صادقتان ونتيجة صادقة ؛ ولنثبت كل واحدة من المقدمتين ، وبثبوتهما تثبت النتيجة لامحالة ، أما كون القتال فى الإسلام شرع لرد الاعتداء ، وأنه لايسوغ إلا عند الاعتداء أو توقعه ، وإن لبس الدفاع لبوس الهجوم ؛ لأن أقوى الدفاع ماكان هجوما ؛ ليجتث الشر من أصله — فإن ذلك صريح آيات القرآن ، وإليك بعض الآيات التى سوغته ، فقد قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ، حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ،

وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين » .

فهذه الآية حدّت الباعث على القتال ، وحدّت قانون القتال ، وهو متصل بالباعث عليه ؛ ثم حدت غايته ونهايته ، فالباعث على القتال بمقتضى هذه الآيات هو رد الاعتداء بمثله ، وقد دل على ذلك ماانطوى فى ثناياها من عبارات وإشارات واضحة بينة :

أولها : أن الله سبحانه وتعالى يقول « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » فإباحة القتال من المسلمين مبنية على القتال من غيرهم فكان العلة الباعثة على القتال اعتداء المشركين .

وثانيها : قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم » فالسبب بصريح اللفظ هو الاعتداء على المسلمين ، وإيقاع الأذى بهم .

وثالثها : قوله تعالى عند الإذن بالقتال : « ولا تعتدوا » وهذا معناه ألا يبدءوا بالقتال ، وألا يقتلوا غير المقاتلين ، فهم منهيون عن الاعتداء ، مأمورون بالاتقاء ، فلا تكون سيوفهم على أعتاقهم يضعونها على المعتدى وغير المعتدى ، وعلى موضع البرء ، وموضع السقم .

ورابعها : أن الله سبحانه وتعالى جعل الغاية من القتال منع الفتنة ، فإن انتهت انتهى القتال ؛ وذلك لأن المشركين كانوا يحاولون أن يفتنوا الناس عن دينهم بالإرهاق والبلاء والشدة والتعذيب والقتل ، فكان لابد من إزالة هذه الفتنة لتكون الكلمة فى الدين لله ، ويدخل الناس فيما يختارون ولا كره فيه ؛ ولذا قال سبحانه فى الآيات السابقة : وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين لله » ويقول سبحانه ، تعالت كلماته : « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

٤ — وإن المنهاج الذى سنه القرآن الكريم للقتال هو أن يكون خاليا من الاعتداء فى أثنائه ، كما كان دفاعا فى باعثه ، فالآيات التى تلوناها ناهية عن الاعتداء بالقتال ، وناهية عن الاعتداء فى أثناء القتال ، فالاعتداء بالقتال أن يبدأ المسلمون بالقتال ، وذلك منهى عنه إلا إذا توقعوا الاعتداء ، ولقد ذكر ابن تيمية أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبدأ أحداً بقتال قط .

وأما الاعتداء فى القتال فهو أن يقتلَ من ليس له رأى فى قتال ولا يعين فى قتال ،

ولا يحمل سيفا ، وقد نهى الإسلام عن ذلك ، وهو داخل فى عموم النهى عن الاعتداء ، وفى عموم الأمر بالتقوى فى القتال ، وقد طبق ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهى عن المثلة فى القتال ، فقال عليه السلام : « إياكم والمثلة ولو بالكلب » ونهى عن قتل من لايحمل سيفا ولا يعين فى قتال ، فنهى عن قتل النساء والذرية والشيوخ الضعاف ، ونهى عن أن تكون الحرب إتلافا وتخريبا فنهى عن قطع الأشجار ، وتحريق الثمار » وقد استفاضت عنه الأخبار بذلك ؛ يروى أنه صلى الله عليه وسلم مر فى بعض مغازيه على امرأة مقتولة ، فقال عليه السلام مستنكرا : « ما كانت هذه لتقاتل » ولقد قال عليه السلام فى إحدى وصاياه لجيوشه : « انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانيا ، ولا طفلاً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .



وإن الغاية التى ينتهى عندها ذلك القتال الفاضل هو انتهاء الاعتداء حيث يكون الاطمئنان والسلام ، ولذلك قال سبحانه : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » ، وقال تعالى : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » .

لم يكن ثمة شك — إذن — عند من يطلب الحقائق الإسلامية من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح من الصحابة ، ومن تبعهم بإحسان فى أن القتال الذى أباحه الإسلام بنص القرآن هو لرد الاعتداء ، وكان من المخالفين الابتداء ، أو توقع المسلمون منهم الشر وبدرت بوادره ، وظهرت ظواهره .

٦ — وإن رد الاعتداء هو الرحمة ، وهذه هى المقدمة الثانية التى قررناها فى صدر كلامنا ، وبقى أن نبين وجهة نظرنا ، ودليل المنهاج القرآنى فيها .

ليست الرحمة الإسلامية انفعالا نفسياً ، بل إن الرحمة القرآنية تنظيم ثابت ، وعدل قائم ، وأمن وقرار واطمئنان ؛ وأن يعيش كل من يستظل بالراية الإسلامية آمناً فى سربه . مطمئناً فى قراره ؛ وإن ذلك لا يكون إلا بقطع الاعتداء ، واجتثاثه من أصله ، ومن أجل ذلك شرعت العقوبات الزاجرة الصارمة ، فلو ترك السارقون من غير عقاب لزُلزِلَ أمنُ الآمنين ، ولو ترك القاتلون من غير أن يقادوا إلى الموت الذى أذاقوه للبرآء ، لتعرضت الأرواح الآمنة للقتل والاعتداء ؛ لأن من قتل لا يرعوى ومن يكون فى نفسه نية الإعتداء لا يحجم ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : « ولكم فى القصاص حياة » واعتبر الإسلام كسائر الشرائع السماوية أن من قتل نفساً اعتداء

فكأنما قتل الناس جميعاً ؛ لأنه اعتدى على حق الحياة الذى هو حق الجميع ، واعتدى على المعنى الإنسانى الذى يستوى فيه الجميع ، فقد قال تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » وإحياؤها بالقود من الجانى ، وأخذه بجريمته .

فالرحمة القرآنية ليست هى تلك الشفقة التى تنفعل بها نفوس الناس على أهل الجرائم ؛ وينسون أن ذلك النوع من الرحمة الظاهرة يستر فى ثناياه شقاء الذين يكونون فريسة المجرمين الذين تنفطر نحوهم تلك النفوس الضعيفة ، وتفكر فيهم تلك العقول الضيقة ، ولذلك كان محمد أرحم الناس بالناس عند ما قال : « من لا يرحم لا يرحم » ؛ لأن قانون الرحمة يوجب مراعاة أمن الآمنين ، وهى كالمنفعة يجب أن تكون فى ظل الفضيلة ، وأن تكون شاملة لأكبر عدد من الناس ، ولو تردد الإنسان بين الرحمة بعشرة ينقذهم من فتك شرير أثيم بقتله ، وبين الرحمة بهذا الشرير بتركه حياً لكان قانون العدد والحساب يقول إن الرحمة بالواحد إجرام وإشقاء ، وإن الرحمة بالعشرة عدل وإبقاء ؛ وإنها الرحمة الحق وغيرها هوى نفسى ، وإن لبس مسوح التسامح والعفو ، فكم من تسامح يكون فى ظله الإجرام ، ويفرخ فيه الفساد .

٧ — بهذا المنطق نسير عند ما ننظر إلى اعتداء جماعة على جماعة ، ونحكم على اعتداء المشركين على المسلمين ؛ فالرحمة توجب قتالهم ، والسلام يوجب امتشاق الحسام لنزالهم ، وليس رحمة أن يتركوا يعيثون فى الأرض فساداً وليس تسامحاً أن يتركوا فى اعتدائهم سادرين فى غيهم ، إنما الرحمة أن يقفهم أهل العدل؛ ويجتثوا بقتالهم شأفة الظلم ، وإن التسامح مع الأشرار شر ما دام شرهم يعم ولا يخص .

وإن القتال ليس فقط رحمة بالمعتدى عليهم ؛ بل إنه رحمة بالمعتدين أنفسهم ؛ ولا نقرر ذلك لأن من الرحمة بهم أن يدخلوا فى دين الإسلام طائعين ، وأن القتال الذى يثيره قادتهم يحول دون ذلك ، وأن دفع المسلمين لهم يسهل وصول الدعوة الإسلامية إلى القلوب ، وتلك رحمة ربانية ، لانقول ذلك ، كما لانقول :إن رد المعتدين هو حمل لهم على الفضيلة وقتل لروح الشر فى نفوسهم . وتلك رحمة إنسانية ،فقد يقول قائل إن ذلك إكراه على الدين أو قريب من معنى الإكراه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

وإنما نقول إن رد الاعتداء بقتال المعتدين هو رحمة بالأمم التى تقاد إلى الاعتداء من نوع آخر ؛ ذلك أن الناس فى الماضى كما هم فى الحاضر ، لا يفكر دهماؤهم فى قتل ولا قتال ، ولا حرب ولا نزال ، إنما يريدون أن يقيموا بين ذويهم وأولادهم فى عيشة راضية ، وحياة هادئة ، ولكن كان يزعج أمنهم فى الماضى طمع ملوكهم وأهواء قوادهم ، وحب للغلب يسيطر على الأمراء ؛ ويرون ذلك فروسية فيقودون جماعاتهم إلى الحتوف ويزعجون أمنهم ، ويخرجونهم من ديارهم ؛ وقد حل الساسة اليوم محل الأمراء ؛ ينسابون بتلك الجموع التى خرجت وهى تريد القرار إلى حرب لا يريدونها ولا يبغونها .

فإذا ترك الملوك المعتدون من غير رادع يردعهم ، ولا مدافع يدفعهم ، ورد اعتداءهم انسابوا فى الأرض مشردين لجماعاتهم مشتتين لشمل الأسر فى أمتهم ، فكان رد الإعتداء ، وحمل الملوك على أن يعودوا بأقوامهم إلى عقر دارهم رحمة بالناس : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

٨ — ولقد كان قتال الإسلام رحمة بالجموع التى قادها المعتدون من جهة أخرى ، ذلك أن الإسلام دين العدل والحق والحرية . والملوك الذين قاتلوا كانوا ظالمين لأممهم ، مفسدين لجماعاتهم ، فلما اصطدموا بالإسلام عند اعتدائهم ، أزال الإسلام شوكة أولئك الملوك الطغاة ، وأباد خضراءهم ، وأى قوة غير قوة الدفاع الإسلامية كانت تستطيع إزالة ملك كسرى ، وإخراج الناس من طغيانه ، وأى قوة غير قوة الإسلام كانت تستطيع أن تزيل ملك الرومان فى مصر بعد أن أنزلوا بالمصريين الشدائد ؛ وما كان فتك دقلديانوس ببعيد . إن قتال الإسلام الذى كان رداً للاعتداء كان بلا شك رحمة بأمم المعتدين .

٩ — قد تبين إذن أن قتال الإسلام كان رداً للاعتداء ، وتبين أن رد الاعتداء كان رحمة فى باعثه ، ورحمة فى منهاجه ، ورحمة فى غايته .

وإن التاريخ لم يعرف حربا فاضلة كحرب النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته ، ولم يعرف حربا رحيمة كحرب أولئك الصديقين والشهداء والصالحين ، ووازنوا بين تلك الحرب التى كانت رحمة للعالمين ، ولا يقاتل فيها إلا من يحمل سيفاً ويضرب والتى كان يعامل فيها الأسرى كأنهم فى ضيافة ، والتى اعتبر فيها إطعام الأسير من أقرب القربات ،

كما قال سبحانه فى وصف المتقين الأبرار : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً » ولقد أنزل النبي صلى الله عليه وسلم أسرى المشركين فى غزوة بدر بدور الأنصار ، وأوصاهم بهم خيراً ، فكانوا يقدمون الطعام لهم ، ويؤثرونهم على ذويهم وكأنهم فى ضيافة ، قابلوا بين هذا وما يصنع اليوم مع أسرى الحروب ؛ وإن الصحف لتذكر أن من أسرى الحرب الأخيرة من تجاوز المليون والنصف لا يعرف مقرهم ولا يعرف حالهم « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ولكن أنى تكون الموازنة ؟ وتلك حرب تستمد قانونها من السماء ، ومن حكم القرآن ، وحرب العصر الحاضر تستمد قانونها من قانون الغابات والآجام !.

١٠ — وإذا كانت شريعة القرآن رحمة بالناس ، لأن رسالة الرسول عليه السلام كانت رحمة بالناس . فمن الرحمة بالناس أن جاءت الشريعة فى جملتها وتفصيلها لمصلحة الناس ؛ وما من مصلحة حقيقية للناس ، وليست وهما من الأوهام إلا وقد تبينت النصوص القرآنية ، أو الأحاديث النبوية بالعبارة المبينة ، أو الإشارة الجلية ، أو العلة القياسية ، وقد قال تعالى : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » .



وتعجبنى كلمة لابن تيمية فى هذا المقام ، فقد قال :

« القول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط ، بل إن الله تعالى قد أكمل هذا الدين ، وأتم النعمة ، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، لكن ما اعتقده العقل مصلحة ، وان كان الشرع لم يرد به فأحد أمرين لازم له ؛ إما أن الشارع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر ، أو أنه ليس بمصلحة واعتقده مصلحة ؛ لأن المنفعة فى نظره هى الحاصلة أو الغالبة ، وكثيراً ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع فى الدين والدنيا ، ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة ، كما قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما » .

هذا وإن شريعة القرآن وارتباطها بمصالح الناس موضوع قد خاض فيه العلماء وكثرت بحوثهم ، واختلفت فى بعضه أنظارهم ، ولنرجىء الكلام فيه ببعض التفصيل والله ولى التوفيق .

في ظلال القرآن

للأستاذ سيد قطب

« قلْ : منْ كان عدوًّا لجبريلَ فإنه نزّله على قلبِك بإذنِ اللهِ مصدِّقًا لما بيْن يديه وهُدًى وبُشرى للمؤمنين . منْ كانَ عدوًّا للهِ وملائكتِه ورُسُلِه وجبريلَ وميكالَ فإنَّ اللهَ عدوٌّ للكافرين .

« ولقد أنزلنا إليكَ آياتٍ بيِّناتٍ وما يكفرُ بها إلا الفاسقون . أوَكلَّما عاهدوا عَهْدًا نَبذَهُ فريقٌ منهم ، بل أكثرُهُمْ لا يُؤمنون . ولما جاءَهم رسولٌ من عندِ اللهِ مصدِّقٌ لما مَعَهُمْ نبذَ فريقٌ من الَّذين أُوتوا الكتابَ كتابَ اللهِ وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلمون ؛ واتَّبعُوا ما تتلو الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ ، وما كَفرَ سليمانُ ولكنَّ الشياطين كَفرُوا يُعلّمون الناسَ السِّحْرَ وما أُنزِلَ على الملكيْن ببابلَ : هاروتَ وماروتَ . وما يعلّمانِ من أحدٍ حتى يقولا : إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفر ، فيتعلَّمون منهما ما يُفرِّقونَ به بيْنَ المرءِ وزوجِه . وما هم بضارِّين به من أحدٍ إلا بإذنِ اللهِ . ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعُهم . ولقد عَلِموا لَمَنِ اشتراهُ ماله في الآخرةِ مِن خَلَاقٍ ، ولبئسَ ما شَرَوْا به أنفُسَهُم لو كانوا يَعْلَمون . ولوْ أنَّهم آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ من عند اللهِ خيرٌ لو كانوا يَعلمون » .

* * *

في هذه الآيات نطلع على سمة أخرى من سمات يهود . سمة عجيبة حقاً . لقد بلغ هؤلاء القوم من الحنق والغيظ أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده مبلغاً يتجاوز كل حد . وقادهم هذا إلى تناقض لا يستقيم في أي عقل . . لقد سمعوا أن جبريل ينزل بالوحي من عند الله على محمد . ولما كان عداؤهم لمحمد قد بلغ مرتبة الحقد والغيظ ، أن ينزل الله عليه قرآنا ، وأن يكلفه رسالة . . فقد لج بهم الحنق ، فأعلنوا عداءهم لجبريل أيضا ! .

إنها الحماقة المضحكة . ولكن الغيظ والحقد يسوقان إلى كل حماقة . . وإلا فماذا أذنب جبريل ؟ ولم يكن جبريل بشراً يعمل معهم أو يعمل ضدهم . بل إنهم لا يعلمون من جبريل ؟ ما حقيقته ؟ كيف ينزل بالوحى ؟ فكل أولئك — بالقياس إلى الناس — غيب من الغيب الذى لا يدرك كنهه إلا عالم الغيب والشهادة ؛ وليس على البشر إلا أن يؤمنوا به ما داموا قد سلموا بالبديهة العقلية الأولى ، وهى أنهم لا يمكن أن يدركوا إلا ما تهيأت عقولهم لإدراكه ، وما يخضع لوسائلهم البشرية فى الإدراك . وهى وسائل محدودة وقاصرة عن كثير .

ولكنهم — مع هذا كله — ما يكادون يسمعون اسم جبريل ، ويعلمون أنه ينزل بالوحى من عند الله ، حتى يهيج هائجهم ، وحتى يغلى غيظهم ، وحتى يعلنوها عداوة جاهرة لجبريل ، فيجيئهم الرد « قل : من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » . وما كان له من هوى شخصى ، ولا إرادة ذاتية فى أن ينزله على قلبك ، إنما هو منفذ لإرادة الله ، عامل بإذن الله . .

ثم ما الذى يحنقهم ؟ إن ما نزله جبريل على قلبك بإذن الله إنما جاء « مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل . وهدى وبشرى للمؤمنين » . ففيم هذه الحماقة من بنى إسرائيل ؟

وكانوا كعادتهم — فى تفريق الدين وتفريق الرسالة — قد فرقوا بين ملائكة الله الذين يسمعون أسماءهم ولا يدركون كنههم . فقالوا : إننا على صداقة مع ميكائيل ، أما مع جبريل فلا ! لذلك جمعت الآية التالية جبريل وميكال وملائكة الله ورسله ، لبيان وحدة الجميع ؛ ولإعلان أن من عاداهم فقد عاداهم جميعا . وأن الله عدو للكافرين الذين لا يؤمنون بهم جميعا . . ثم كشف عن سبب الكفر بآيات الله . إنه الفسوق وانحراف الفطرة فالطبيعة المستقيمة لا يسعها إلا أن تؤمن بتلك الآيات البينات ، التى لا عوج فيها ولا فسوق « وما يكفر بها إلا الفاسقون » .

ثم يمضى السياق منددا باليهود ، كاشفا عن سمة أخرى من سماتهم الوبيئة . . . إنهم جماعة مفككة لا يجتمعون على رأى ، ولا يتكافلون فى الخير ، ولا يفيئون إلى نظام . وما من عهد يقطعونه على أنفسهم حتى تند منهم فرقة فتنقض ما أبرموا ، وتخرج على ما أجمعوا : « أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ؟ » وبئساها من خلة ، تقابلها فى المسلمين خلة أخرى على النقيض ، ويعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « المسلمون عدول تتكافأ دماؤهم ، ويقضى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » . . .

يقضي بذمتهم أدناهم ، فلا يخيس أحد بعهده إذا عاهد ، ولا ينقض عهده أحد إذا أبرم . تلك سمة الجماعات المفككة الهزيلة المنحرفة الفطرة ، وهذه سمة الجماعات الكريمة المتماسكة المستقيمة ، وذلك فرق ما بين أخلاق اليهود وأخلاق المسلمين في كل زمان ومكان . . .

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » .

وفي الآية ما فيها من سخرية خفية يحملها النص على أن الذين أوتوا الكتاب هم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . فلو كانوا هم المشركين لكان لهم في نبذ كتاب الله وراء ظهورهم شيء من المعذرة . . . ولكنهم هم الذين أوتوا الكتاب . هم الذين عرفوا الرسالات والرسل . هم الذين اتصلوا بالهدى ورأوا النور . وماذا صنعوا ؟ إنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . والمقصود طبعا أنهم جحدوه بعنف ، وأنهم أبعدوه من مجال تفكيرهم بشدة . ولكن التعبير المصور ينقل المعنى من دائرة الذهن إلى دائرة الحس ، ويمثل عملهم بحركة مادية متخيلة ، تصور هذا التصرف تصويرا بشعا زريا ، ينضح بالكنود والجحود ، ويتسم بالغلظة والحماقة ، ويدع الخيال يتملى هذه الحركة العنيفة ، والأيدي تنبذ كتاب الله وراء الظهور .

ثم ماذا ؟ ماذا بعد أن نبذوا كتاب الله المصدق لما معهم ؟ . . ألعلهم قد لاذوا بما هو خير منه ؟ ألعلهم لجأوا إلى حق لا شبهة فيه ؟ ألعلهم استمسكوا حتى بكتابهم الذي جاء القرآن ليكمله ويمنحه الامتداد والحياة ؟ . . كلا ! لا شيء من هذا كله . . إنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ليجروا خلف أساطير غامضة ومحاولات شريرة لقد تركوا ما أنزل الله « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » ! وبحثوا عن السحر الذي كان هاروت وماروت يعلمانه للناس . . . ترك الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم وجروا وراء تلك الأساطير وخلف هذا السحر . . . وتلك سمة أخرى من سمات الطبع المنحرف ، يسجلها القرآن على يهود . . .

وبعد فلابد من كلمة هنا عن السحر ، وعما يفرق بين المرء وزوجه مما كان هؤلاء اليهود يجرون خلفه ، ويتركون كتاب الله من أجله .

إنه ما يزال مشاهدا في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص عقلية أو نفسية لم يكشف العلم عن كنهها بعد ، لقد سمى بعضها بأسماء ، ولكنه لم يحدد كنهها ولا طرائقها . . . هذا « التلباثي » — التخاطب عن بعد — ما هو وكيف

يتم ؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنساناً على أبعاد وفواصل لا يصل إليها صوت الإنسان فى العادة ، فيتلقى عنه دون أن تقف دونهما الفواصل والأبعاد ؟ وهذا التنويم المغنطيسى ما هو وكيف يتم ؟ كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة ، وأن يتصل فكر بفكر ، فإذا أحدهما يوحى إلى الآخر ، وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر كأنما يقرأ من كتاب مفتوح ؟ وهذا الإيحاء ما هو وكيف يتم ؟ كيف ينتقل تأثير معين من فكر إلى فكر أو إلى عدة أفكار ؟ ما طبيعة هذا التأثير وكيف انتقل وأية أداة نقلته ؟ وفى أى وسط انتقل ؟ .

إن كل ما استطاع العلم أن يقوله إلى اليوم فى هذه القوى التى اعترف بها هو أن أعطاها أسماء ! ولكنه لم يقل قط ما هى . ولم يقل قط كيف تتم .

وثمة أمور كثيرة أخرى يمارى فيها العلم . إما لأنه لم يجمع منها مشاهدات كافية للاعتراف . وإما لأنه لم يهتد بعد إلى وسيلة تدخلها فى نطاق إمكانياته التجريبية .. هذه الأحلام التنبؤية — وفرويد ذاته لم يستطع إنكار وجودها من الوجهة النظرية — كيف أرى رؤيا عن مستقبل مجهول ، ثم إذا هذه النبوءة تصدق فى الواقع بعد حين ؟ وهذه الأحاسيس الخفية التى ليس لها اسم بعد . كيف أحس أن أمراً ما سيحدث بعد قليل ثم يحدث ما توقعت على نحو من الأنحاء ؟

إنه من المكابرة فى الواقع أن يقف إنسان لينفى ببساطة مثل هذه القوى المجهولة فى الكائن البشرى ، لمجرد أن العلم لم يهتد بعد إلى وسيلة يجرب بها هذه القوى .

وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة ، والجرى وراء كل أسطورة .. إنما الأسلم والأحوط أن يقف العقل الإنسانى أمام هذه المجاهيل موقفا مرناً ، لاينفى على الإطلاق ولايثبت على الإطلاق . حتى يتمكن العلم يوماً بعد ارتقاء وسائله من إدراك مايعجز الآن عن إدراكه ، أو يسلم بأن فى الأمر شيئاً فوق طاقته ، ويعرف حدوده ، ويحسب للمجهول فى هذا الكون حسابه .

السحر من قبيل هذه الأمور . قدرة على الإيحاء والتأثير ، إما فى الحواس والأفكار وإما فى الأشياء والأجسام .. ولامانع أن يكون وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه ، وبين الصديق وصديقه . فالانفعالات نتيجة للتأثرات ، وإن كانت الوسائل والآثار ، والأسباب والنتائج . لاتقع كلها إلا وفق مشيئة الله .. « وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » .

على أية حال لقد نبذ الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، وراحوا يتعلقون بما يروى عن الشياطين فى عهد سليمان ، ومايقال عن وسائل سليمان فى الحصول

على تلك القوى التى تسخر له ماسخره الله . وما كفر سليمان بالله ، ولا اعتمد على وسائل شريرة أوقوى شيطانية . إنما كفر الشياطين الشريرون الذين يعلمون الناس هذه الطرق الشريرة التى يؤثرون بها فى غيرهم تأثيراً ضاراً ، ويعلمونهم ماكان لدى الملكين أو الملِكين : هاروت وماروت ، مذكانا فى بابل ، فتنة لأهل عصرهما وابتلاء ، وكانا إذا جاءهما أحد يطلب علم هذه الوسائل التى تؤثر فى الناس وتفرق مابين المرء وزوجه ، يقولان له : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ولا تتعلم هذا العلم الضار المؤذى ، فإذا أصر بعد هذا النصح كان حسابه على نفسه ، وعلماه مايطلب ، وتركاه لعمله .

أما متى كان هذان الملكان ببابل ، فيبدو أن قصتهما كانت معروفة متداولة بين اليهود فى ذلك الحين ، بدليل أنهم لم يكذبوا هذه الإشارة ولم يعترضوا عليها . وقد وردت فى القرآن الكريم إشارات مجملة لبعض القصص التى كانت معروفة عند المخاطبين بها ، وكان فى ذلك الإجمال كفاية لأداء الغرض ؛ ولم يكن هناك مايدعو للتفصيل التاريخى ، لأن هذا التفصيل ليس هو المقصود . ولا أحب أن نجرى نحن — فى هذه القصة — خلف أساطير لم ترد فى كتابنا ؛ فحسبنا أن نقف عند هذه الإشارة ومغزاها .

ولقد مضى فى تاريخ البشرية من الآيات والاختبارات ما يناسب حالتها وإدراكها فى كل طور من أطوارها . فإذا جاء الاختبار فى صورة رجلين طيبين كالملكين ، أو ملكين فى صورة رجلين . . . فليس هذا غريبا ولا شاذا بالقياس إلى شتى الصور وشتى الاختبارات وشتى المعجزات ، التى مرت بها البشرية وهى تحبو ، وهى تخطو ، وهى تقفو أشعة الشعلة الإلهية المنيرة فى غياهب الليل البهيم [1] .

---

(١) بهذا الدرس ينتهى ما قدر له أن ينشر من هذه السلسلة فى « المسلمون » . . . ذلك أن « فى ظلال القرآن » ستنشر مستقلة فى ثلاثين جزءا على التتابع ، تظهر كل حلقة على رأس كل شهرين ابتداء من شهر سبتمبر القادم إن شاء الله . تنشرها دار « إحياء الكتب العربية » لعيسى الحلبي وشركاه . أما « المسلمون » فتأخذ فى نشر بحث آخر تحت عنوان : « نحو مجتمع إسلامى » بعون الله . . . . المؤلف

السُّنّة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعى

(٩)

الموضوع وعلاماته

وكما وضع العلماء القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع وذكروا له علامات يعرف بها . وقد ذكرنا من قبل أصناف الوضاعين والأسباب الحاملة على ذلك . ونذكر الآن العلامات التى تدل على الوضع ونقسمها إلى قسمين :

علامات فى السند وعلامات فى المتن .

علامات الوضع فى السند

وهى كثيرة أهمها :

١ — أن يكون راويه كذابا معروفا بالكذب ولا يرويه ثقة غيره وقد عنوا بمعرفة الكذابين وتواريخهم وتتبعوا ما كذبوا فيه بحيث لم يفلت منهم أحد .

٢ — أن يعترف واضعه بالوضع كما اعترف أبو عصمة نوح بن أبى مريم بوضعه أحاديث فضائل السور وكما اعترف عبد الكريم بن أبى العوجاء بوضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ويحلل فيها الحرام .

٣ — أن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقياه له أو ولد بعد وفاته أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه . كما ادعى مأمون بن أحمد الهروى أنه سمع من هشام ابن عمار فسأله الحافظ ابن حبان متى دخلت الشام . قال : سنة خمسين ومائتين . قال ابن حبان : فإن هشام الذى تروى عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين . وكما حدث عبد الله بن إسحاق الكرمانى عن محمد بن أبى يعقوب . فقيل له مات محمد قبل أن تولد بتسع سنين . وكما حدث محمد بن حاتم الكش عن عبد بن حميد . قال الحاكم أبو عبد الله هذا الشيخ سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة ، وفى مقدمة

مسلم أن المعلى بن عرفان قال حدثنا أبو وائل قال خرج علينا ابن مسعود بصفين ، وقال أبو نعيم يعني الفضل بن دكين ، حاكيه عن المعلى ، أتراه بعث بعد الموت ؟ وذلك لأن ابن مسعود توفى سنة اثنتين أوثلاث وثلاثين قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين ولا شك أن العمدة فى مثل هـذه الحالة على التاريخ . تاريخ مواليد الرواة وإقامتهم ورحلاتهم وشيوخهم ووفاتهم ولذلك كان علم الطبقات علما قائما بذاته ولا يستغنى عنه نقاد الحديث قال حفص بن غياث القاضى ، إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين يعنى سنّه وسن من كتب عنه . وقال سفيان الثورى لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ .

٤ — وقد يستفاد الوضع من حال الراوى وبواعثه النفسية مثل ما أخرجه الحاكم عن سيف بن عمرو التميمى . أنه قال كنا عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتاب يبكى فقال مالك ؟ قال ضربنى المعلم فقال سعد . لأخزينهم اليوم ، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا « معلمو صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المساكين » ومثل حديث « الهريسة تشد الظهر ، فإن واضعه — محمد بن الحجاج النخعى — كان يبيع الهريسة » .

علامات الوضع فى المتن

أما علامات الوضع فى المتن فهى كثيرة أهمها :

١ — ركاكة اللفظ بحيث يدرك العليم بأسرار البيان العربى أن مثل هذا اللفظ ركيك لا يصدر عن فصيح ولا بليغ فكيف بسيد الفصحاء صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ بن حجر (ومحل هذا إن وقع التصريح بأنه من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم) قال ابن دقيق العيد كثيرا ما يحكمون بذلك أى بالوضع باعتبار أمور ترجع إلى المروى. وحاصله أنهم لكثرة ممارستهم لألفاظ الحديث حصلت لهم هيئة نفسانية وملكة قوية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبى وما لا يجوز قال البلقينى وشاهد هذا أن إنسانا لو خدم إنسانا سنين وعرف ما يحب وما يكره فادعى إنسان أنه يكره شيئا يعلم ذلك أنه يحبه فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيبه .

٢ — فساد المعنى : بأن يكون الحديث مخالفا لبدهيات العقول من غير أن يمكن تأويله مثل (أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا وصلت عند المقام ركعتين) أو أن يكون مخالفا للقواعد العامة فى الحكم والأخلاق مثل (جور التركى ولا عدل العرب)

أو داعيا إلى الشهوة والمفسدة مثل (النظر إلى الوجه الحسن يجلى البصر) أو مخالفا للحس والمشاهدة مثل (لا يولد بعد المائة مولود لله فيه حاجة) أو مخالفا لقواعد الطب المتفق عليها مثل (الباذنجان شفاء من كل داء) أو مخالفا لما يوجبه العقل لله من تنزيه وكمال نحو (إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت فخلق نفسه منها) أو يكون مخالفا لقطعيات التاريخ أو سنة الله فى الكون والإنسان : مثل حديث (عوج بن عنق وإن طوله ثلاثة آلاف ذراع وأن نوحاً لما خوفه الغرق قال احملنى فى قصعتك هذه يعنى (السفينة) وأن الطوفان لم يصل إلى كعبه ، وأنه كان يدخل يده فى البحر فيلتقط السمكة من قاعه ويشويها قرب الشمس . ومن ذلك حديث رتن الهندى وأنه عاش ستمائة سنة وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم) أو أن يكون مشتملا على سخافات وسماجات يصان عنها العقلاء مثل (الديك الأبيض حبيبى وحبيب حبيبى جبريل) ومثل (اتخذوا الحمام القاصيص فإنها تلهى الجنة عن صبيانكم) وهكذا كل ما يرده العقل بداهة فهو باطل مردود قال ابن الجوزى : ما أحسن قول القائل كل حديث رأيته تخالفه العقول وتناقضه الأصول وتباينه النقول فاعلم أنه موضوع ؛ وقال فى المحصول : كل خبر أوهم باطلا ولم يقبل التأويل فمكذوب أو نقص منه ما يزيل الوهم .

٣ — مخالفته لصريح القرآن : بحيث لا يقبل التأويل مثل (ولد الزنا لا يدخل الجنة إلى سبعة أبناء فإنه مخالف لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى) بل هو مأخوذ من التوراة فهو من أحكامها . ومثل ذلك أن يكون مخالفا لصريح السنة المتواترة مثل : إذا حُدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث ، فإنه مخالف للحديث المتواتر (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) أو يكون مخالفا للقواعد العامة المأخوذة من القرآن والسنة مثل (من ولد له ولد فسماه محمدا كان هو ومولوده فى الجنة) ومثل (آليت على نفسى ألا أدخل النار من اسمه محمد أو أحمد) لأن النجاة بالأعمال الصالحة لا بالأسماء والألقاب .

أو أن يكون مخالفا للاجماع مثل من قضى صلوات من الفرائض فى آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتته فى عمره إلى سبعين سنة فإن هذا مخالف لما أجمع عليه من أن الفائتة لا يقوم مقامها شىء من العبادات .

٤ — مخالفته لحقائق التاريخ المعروفة فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم :

مثل حديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم وضع الجزية على أهل خيبر ورفع عنهم الكلفة والسخرة بشهادة سعد بن معاذ وكتابة معاوية بن أبى سفيان مع أن الثابت فى

التاريخ أن الجزية لم تكن معروفة ولا مشروعة فى عام خيبر وإنما نزلت آية الجزية بعد عام تبوك وأن سعد بن معاذ توفى قبل ذلك فى غزوة الخندق وأن معاوية إنما أسلم زمن الفتح فحقائق التاريخ ترد هذا الحديث وتحكم عليه بالوضع ومن أمثلة ذلك حديث أنس . إنما حرمت دخول الحمام بغير مئزر مع أن الثابت تاريخيا أن الرسول لم يدخل حماما قط إذ لم تكن الحمامات معروفة فى الحجاز فى عصرهم .

٥ — موافقة الحديث لمذهب الراوى وهو متعصب مغال فى تعصبه : كأن يروى رافضى حديثا فى فضائل أهل البيت أو مرجىء حديثا فى الإرجاء مثل ما رواه حبة ابن جوين قال سمعت عليا رضى الله عنه قال عبدت الله مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين قال ابن حبان كان حبة غاليا فى التشيع واهيا فى الحديث .

٦ — أن يتضمن الحديث أمراً من شأنه أن تتوفر الدواعى على نقله : لأنه وقع بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد ، وبهذا حكم أهل السنة على حديث غدير خم بالوضع والكذب قال العلماء إن من إمارات الوضع فى هذا الحديث أن يصرح بوقوعه على مشهد من الصحابة جميعا ثم يقع بعد ذلك أن يتفقوا جميعاً على كتمانه حين استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ، ومثل هذا بعيد ومستحيل فى العادة والواقع . فانفراد الرافضة بنقل هذا الحديث دون جماهير المسلمين دليل على كذبهم فيه . قال ابن تيمية : ومن هذا الباب نقل النص على خلافة على ، فإنا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة فإن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح ، فضلا عن أن يكون متواترا ، ولا نقل إن أحدا ذكره على جهة الخفاء مع تنازع الناس فى الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة . وحين موت عمر وحين جعل الأمر شورى بينهم فى ستة . ثم لما قتل عثمان واختلف الناس على علىّ فمن المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على علىّ نصاً جليا قاطعا للعذر وعلمه المسلمون لكان من المعلوم بالضرورة أنه لابد أن ينقله الناس نقل مثله ، وأنه لابد أن يذكره كثير من الناس بل أكثرهم فى مثل هذه المواطن التى تتوفر لهم على ذكره فيها غاية التوفر ، فانتفاء ما يعلم أنه لازم يقتضى انتفاء ما يعلم أنه ملزوم [1] ؛ وقال ابن حزم : وما وجدنا قط رواية عن أحد فى هذا النص المدعى إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو فى الخلق .

---

(١) منهاج السنة ٤ ص ١١٨ .

٧ — اشتمال الحديث على إفراط فى الثواب العظيم : على الفعل الصغير والمبالغة فى الوعيد الشديد على الأمر الحقير . وقد أكثر القصّاص من مثل هذا النوع ترقيقا لقلوب الناس وإثارة لتعجبهم مثل (من صلى الضحى كذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبيا) ومثل « من قال لا إله إلا الله خلق الله تعالى له طائرا له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له » .

هذه هى أهم القواعد التى وضعها العلماء لنقد الحديث ومعرفة صحيحه من موضوعه ، ومنه ترى أنهم لم يقتصروا فى جهدهم على نقد السند فقط ، أو يوجهوا جل عنايتهم إليه دون المتن كما سيأتى فى زعم بعض المستشرقين ومشايعيهم ، بل كان نقدهم منصبا على السند والمتن على السواء ، ولقد رأيت كيف جعلوا أمارات للوضع : أربعا منها فى السند وسبعا منها فى المتن ولم يكتفوا بهذا بل جعلوا للذوق الفنى مجالا فى نقد الأحاديث وردها أو قبولها ، فكثيرا ما ردوا أحاديث لمجرد سماعهم لها لأن ملكتهم الفنية لم تستسغها ولم تقبلها ، ومن هنا كثيرا ما يقولون : هذا الحديث عليه ظلمة أو متنه مظلم أو ينكره القلب أولا تطمئن إليه النفس ؛ وليس ذلك بعجيب فقد قال الربيع بن خيثم : إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها(١) . ويقول ابن الجوزى : الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه فى الغالب وسيأتى معنا مزيد بيان لهذا البحث عند التعرض لشبه المستشرقين وأشياعهم ؟

هكذا ...

روى الربيع بن سليمان : « سمعت الشافعى ، وقد سأله رجل عن مسألة ، فقال يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا ، فقال له يا أبا عبد الله : أتقول بهذا ؟ (أى هل هذا رأيك) فارتعد الشافعى ، واصفر لونه ، وحال وتغير ، وقال . أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقل : نعم على الرأس والعينين » وكان الشافعى يردد « مهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فيه عن رسول الله خلاف ماقلت فالقول ماقال وهو قولى » .

---

(١) الحاكم فى معرفة علوم الحديث ص ٦٢ .

فى البيوع والكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة[1]

ما جاء فى الحث على الكسب وعدم التقاعد والترغيب فى الحلال والتنفير من الحرام

(٢)

(٦) عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِى وَقَّاصٍ رَضِىَ اللهُ عَنهُ قَالَ سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلّمَ يَقولُ : « سَيكونُ قَومٌ يأكلونَ بألسِنَتِهِم كَمَا تَأْكُلُ البَقَرَةُ مِنَ الأَرْضِ[2] » .

ومِن طَريقٍ ثانٍ عَنْ زَيدِ بنِ أَسْلَمَ عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِى وَقّاصٍ رَضِىَ اللهُ عَنهُ قَالَ : قَالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وَسلمَ : « لا تَقومُ السَّاعَةُ حَتَى يَخْرُجَ قَومٌ يَأكلونَ بِألسِنَتِهِمْ كما تَأْكُلُ البَقَرُ بِأَلسِنَتِها » .

(٧) عَنْ أَبِى هُرَيرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَليهِ وآله وَسلّمَ قَالَ : « السَّاعِى[3] عَلَى الأَرْمَلَةِ والمِسْكينِ كَالمُجَاهِدِ فى سَبيلِ اللهِ أَو كالذى يَقُومُ اللَيلَ وَيَصُومُ النَهَارَ » .

---

(١) جاءنا من فضيلة الأستاذ الجليل أن نضيف إلى عنوان « بدائع المنن بترتيب مسند الشافعى والسنن » الذى أشرنا إليه فى تقديم باب علوم السنة ، « مع شرحه القول الحسن » حيث يوجد كتاب لبعض المتقدمين فى ترتيب مسند الشافعى فقط بدون شرح وذلك منعا للالتباس .

« التحرير »

(٢) أى يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مأكلهم كما تأخذ البقر بألسنتها ؛ ووجه الشبه : أنهم لا يهتدون من المآكل كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها . ووجه آخر : أنهم لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام كما أن البقرة لا تميز فى رعيها بين رطب ويابس وحلو ومر بل تلف الكل .

(٣) أى الذى يسعى ويجد فى تحصيل المال لينفقه على الأرملة . والأرملة : هى من لا زوج لها .

(٨) عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مَرْيَمَ قَالَ : كَانَتْ لِمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكرب جَارِيَةٌ تَبِيعُ اللَّبَنَ وَيَقْبِضُ المِقْدَامُ الثَّمَنَ فَقِيلَ لَهُ : سُبْحَانَ اللهِ أَتبيعُ اللَّبَنَ وَتَقبِضُ الثَّمَنَ ؟ ! فَقَالَ : نَعَمْ وَمَا بَأْسٌ بِذَلِكَ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسلمَ يَقُولُ : لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَنْفَعُ فِيهِ إِلاَّ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ[1] » .

أفضل الكسب البيع وعمل الرجل بيده ومنه كسب ولده

(٩) عن جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ خَالِهِ قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسلَّمَ عَن أَفْضَلِ الكَسبِ فَقَالَ : « بَيْعٌ مَبْرورٌ[2] وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ » .

(١٠) وَعَنْ رَافِعِ بْن خَدِيج عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهُ .

(١١) عَنِ المِقدَامِ بن مَعدِ يكَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنه رَأى رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ باسطاً يَدَيْهِ يَقولُ : « مَا أَكل أَحدٌ مِنْكُمْ طَعاماً فى الدُّنيا خَيراً لَهُ — وفى رواية أَحبَّ إِلى اللهِ — مِنْ أَن يَأكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ » .

(١٢) عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلهِ وسلم أنه قال : « إِنَّ أَطيبَ ما أكلَ الرجلُ من كَسْبِهِ وإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ[3] » .

وعنها من طريق ثان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ أَولادَكُمْ مِنْ أَطْيبِ كَسْبِكُم فَكلُوا مِنْ كَسْبِ أَولادِكُمْ » .

(١٣) عن عَمْرو بنِ شُعَيب عَنْ أَبيهِ عَنْ جَدِّهِ قال : أَتَى أَعْرابِيٌّ رسولَ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسلَّمَ فقالَ : إِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي . قال : أَنْتَ

---

(١) أى لاينفع الناس إلا الكسب إذ لو تركوه لوقعوا فى الحرام .

(٢) البيع المبرور : الذى لاشبهة فيه ولاخيانة . وعمل الرجل بيده : كالزراعة والصناعة .

(٣) أى لأن ولد الرجل بعضه وحكم بعضه حكم نفسه ويسمى الولد كسبا مجازاً وذلك لأن والده سعى فى تحصيله . والكسب : الطلب والسعى فى الرزق . ونفقة الرجل الفقير واجبة على فرعه .

وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ[1] إِنَّ أَطيبَ ما أَكلتم مِنْ كَسْبِكُمْ وإِنَّ أَموالَ أَولادِكُم مِنْ كَسْبِكُمْ فَكُلُوهُ هَنِيئاً » .

ما جاء فى عطاء السلطان وكسب عمال الصدقة

(١٤) عن عَبدِ اللهِ بنِ السَّعْدِي أَنهُ قَدِمَ عَلَى عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فى خِلافَتِهِ فقال له عُمر : أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنكَ تَلِي مِنْ أَعمالِ النَّاسِ أَعمالًا ، فإذا أعطيتَ العَمالَةَ[2] كرهتها ؟ قالَ فَقُلْتُ : بَلَىٰ ، فقالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنهُ فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؟ قالَ قُلْتُ : إِنَّ لِي أفراساً[3] وأَعْبُدًا وأَنا بِخَيرٍ ، وأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَمالَتِي صَدَقَةً عَلَى المُسلمينَ فقالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنهُ : فَلَا تَفْعَلْ ، فأَنِّى قد كُنْتُ أَرَدْتُ الذى أَرَدْتَ فكانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ يُعطِينِى العَطاءَ فأَقولُ : أَعْطِهِ أَفقَرَ إِليهِ مِنِّى . حَتَّى أَعْطانِي مَرَّةً مالًا فَقُلتُ : أَعْطِهِ أَفقَرَ إِليهِ مِنِّى . قَالَ فقالَ لَه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « خُذْهُ فتموَّلْهُ[4] أَوْ تَصَدَّق بِهِ فَمَا جاءَكَ مِن هَذَا المَالِ وأَنْتَ غير مُشْرِفٍ[5] وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ ومَالَا فَلا تُتْبِعْهُ[6] نَفْسَكَ » .

(١٥) عن أَبِي الدَّرداءِ رَضِىَ اللهُ عنهُ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَموالِ السَّلَاطِينِ[7] فقالَ : « ما آتاكَ اللهُ مِنها مِنْ غَيرِ مَسأَلَةٍ وَلَا إِشرَافٍ فَكُلْهُ وَتَموَّلْهُ » وقالَ الحسنُ : لابأسَ بِهَا مَا لَم يَرْحَلْ إِليها وِيُشرِفْ لَهَا .

---

(١) أى لأنه هو السبب فى وجوده . ولما له عليه من حق التربية والتكوين حتى صار رجلا ذا كسب ومال فلا يجوز أن يضن على والده بما يكفيه من ماله حسب حاله وحال والده

(٢) وهى المال الذى يعطاه العامل على عمله

(٣) جمع فرس للذكر والأنثى . (وأعبدا) : جمع عبد

(٤) أى اجعله لك مالا

(٥) أى غير متطلع إليه ولا طامع فيه

(٦) أى فلا تجعل نفسك تابعة له .

(٧) أى كعمالة أو هبة أو نحو ذلك

عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلمَ يقولُ : « العَامِلُ فى الصَّدَقَةِ بالحَقِّ لوَجهِ اللهِ عَزَّ وَجَل كَالْغَازِى فى سَبيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَرْجعَ إِلى أَهلِهِ » .

(١٦) عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمرٍو عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذا الرِّزْقِ مِنْ غَيرِ مَسأَلَةٍ وَلَا إِشْرافٍ فَلْيُوسِّع بِهِ فِي رِزْقِهِ[1] ؛ فإِنْ كانَ عَنْهُ غَنياً فَلْيُوَجِّهْهُ إِلى مَنْ هُوَ أَحوَجُ إِليهِ مِنهُ » .

وَعَنْهُ مِنْ طَرِيقٍ ثَانٍ : قَالَ قَالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عَليهِ وَسَلم : « مَنْ آتاهُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى رِزقاً مِنْ غَيرِ مَسأَلَةٍ فَلْيَقْبَلْهُ » قَالَ عبدُ اللهِ[2] : سَأَلْتُ أَبِى مَا الإِشرَافُ ؟ قالَ : تقولُ فِى نَفْسِكَ سَيَبْعَثُ إِلَيَّ فُلانٌ ، سَيَصِلُنِى فُلانٌ .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : بَعَثَنِى رَسولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وآلهِ وَسَلَّم سَاعِياً فَاسْتَأْذَنتُهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَذِنَ لَنا .

عَنِ ابن شَدَّاد رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَليهِ وآلهِ وَسَلَّم يَقول : « مَنْ وَلِىَ لَنا عَمَلاً وَلَيسَ لَهُ مَنْزِلٌ فَلْيَتَّخِذْ مَنْزِلًا أَوْ لَيْسَتْ لَهُ زَوجَةٌ فلْيتزَوَّجْ أَوْ لَيسَ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَتَّخِذْ خَادِماً أَوْ لَيْسَتْ لَهُ دَابةٌ فَلْيَتخِذْ دَابةً ، وَمَنْ أَصَابَ شَيئاً سِوىٰ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ » .

وَفى رِوايَةٍ : فَهُوَ غالٌّ أَوْ سَارِقٌ .

---

(١) يعني إن كان فقيراً

(٢) يعني ابن الإمام أحمد رحمهما الله .

ركائز دعوة الإسلام

(٢) وحدة أحكامه

رسول وكتاب :

هذه هى الركيزة الثانية من ركائز دعوة الإسلام . . ، وهى تأتى بين يدى الركيزة الأولى كأعلام الطريق بين يدى السارى ، فإن الله سبحانه الذى يعلم فطرة الإنسان وما جبلت عليه من نوازع الخير والشر وطبيعة الحياة على هذه الأرض وما يختلط فيها من معانى الظلمة والنور : تكفل بمحض فضله ورحمته أن يمد يده لعباده ولا يتركهم حيارى : « فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداىَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » . فبعث فى الناس من أنفسهم رسلا ، وأنزل عليهم كتباً ترسم للايمان سبيله وتقيم للحياة الفاضلة موازينها : « لقد أرسلنا رُسلنا بالبينات وأنزلنا معهمُ الكتابَ والميزان ليقوم الناس بالقسط » . حتى إذا كان خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تنزل عليه الوحى بالشريعة الخالدة : « وكذلك أوْحينا إليكَ رُوحاً مِنْ أمرنا مَا كنتَ تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناهُ نوراً نهدى بهِ منْ نشاءُ مِن عِبادنا وإنك لتهدى إلى صِراط مُستقيم ، صراطِ اللهِ الذى لهُ ما فى السموات وَما فى الأرضِ ألا إلى اللهِ تصيرُ الأمور » . ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى بين للناس ما نزّل إليهم وتركهم على المحجة البيضاء والطريق الواضحة وحتى شهد الله بتمام ذلك كله : « اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورَضيتُ لكم الإسلام ديناً » . وحتى أشهد الرسول ربه وأصحابه فى حجة الوداع على ذلك :

« أيها الناس : اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . . . فاعقلوا أيها الناس قولى ، فإنى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه . . . اللهم هل بلغت ؟ فقال الناس : اللهم نعم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد ! » .

أمانة كاملة :

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عليين بعد أن بلغ ما أرسل به من ربه ، وتركه أمانة كاملة فى أعناق الذين اتبعوه ؛ وقام الخليفة الراشد « أبو بكر » يحملها

ويمضى بها ، فرأينا كيف كان تقديسه لها ورعايته لكل معانيها ، وكيف وقف على مواطىء أقدام النبوة لا يرى فى الأرض طريقاً غير طريقها : قام والمسلمون كما يقول عروة ابن الزبير كالغنم فى الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وردة من ارتد ، وأراد أبو بكر بالرغم من ذلك أن يبعث جيش أسامة إلى الشام تنفيذاً لرغبة رسول الله ووصيته ، فقام أهل الرأى يقولون : « إن جيش أسامة يضم جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك وليس ينبغى لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين » . فلم يكن من أبى بكر إلا أن قال : « والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته » . ثم هوذا رضى الله عنه وأرضاه يواجه المرتدين جميعاً كالأسد الهائج وهو يردد : « أينتقص الدين وأنا حى ؟ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . . . والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف بيدى . . . »

وقد شهد التاريخ كيف كانت عاقبة صدق الخليفة الراشد وغيرته على أمانة الله كاملة : جاء فى البداية والنهاية : « كان خروج أسامة فى ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لا يمرون بحى من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم ؛ وقالوا : ما خرج هؤلاء عن قوم إلا وبهم منعة شديدة ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه » .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : « والله الذى لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله ، قالها ثلاثاً » .

وراثة :

ولو قدر لأجيال المسلمين المتلاحقة أن تتلقى الإسلام كما تلقاه أبو بكر وأن تغار غيرته على حرمات الله جميعا ، لظل السراج فى أيديهم يرسل نوره ، ولظلوا به على هدى مستقيم : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » . . . ولكن . . . ولكنهم طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وغشيتهم غواشى الشهوة والجهل والنسيان ، فانطمست المعالم القدسية لدين الله فى أنفسهم ورءوسهم ، وباتوا يرثون إسلامهم وراثة من الآباء والأمهات ، وباتت ملايين المسلمين تولد مسلمة قضاء وقدراً ، وتبقى مسلمة بشهادات الميلاد ، وبما يصل إليها من أمر الإسلام سلبا أو مشوها . . . أما الإسلام فى ذاته : كما أنزله الله وبلغه رسوله وجاهد فى سبيله أبو بكر ؛ فإنك لا تجده فى واقع المسلمين ، بل إنه ليدهشك أن تجد الكتاب والسنة محنوطين فى مكاتب المسلمين ،

يتغنى بهما ويتبرك بهما ، ثم تراهما فى العمل يؤخذ منهما ويترك بالهوى : أذكر أنى كنت أصلى المغرب منذ سنوات فى مسجد من مساجد القاهرة ، ثم سمعت بعد الصلاة صوت مدرس يعظ الناس ، فقصدت أستمع مع المستمعين ، فإذا به يفسر حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر فيه المسلمين من خمس ، إحداهن الحكم بغير ما أنزل الله ، فقام إليه أحد المستمعين يسأله : وما يفعل الله بحكامنا يا مولانا ؟ فإذا بالأستاذ يغضب وينتهر السائل قائلا : وما لنا ولحكامنا . . . هذا مدخل الشيطان إلى نفسك . . . نحن إنما نفسر حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .

هكذا يُفعل بسنة رسول الله ، وأقسم لقد خرجت ساعتها وأنا أحس لعنة الله فى المسجد ، وأجد فى دمى الفائر دوى قول الله عز وجل : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى مِنْ بعد ما بيناهُ للناس فى الكتاب أولئكَ يلعنهمُ اللهُ ويلعنهم اللاعنون » .

اتجاهات مختلفة :

وحتى بين العاملين للاسلام لم يسلم كيانه من التمزيق والتشويه ، فإن أكثر هؤلاء وقفوا ينظرون إلى الإسلام من زوايا مختلفة وتعددوا فرقا بعدد هذه الزوايا فبعضهم فهموه صوفية وغلبهم هذا المعنى فيه فتصوفوا ، وبعضهم فهموه فلسفة وأخذتهم شبا كها فتفلسفوا وتكلموا ، وبعضهم فهموه فقهاً فأصّلوا وفرّعوا وذهبوا مذاهب . وآخرون أخذوه عاطفة تتنازعها وجوه البر حتى تغلبها ناحية منها فتبتبل لها ، ورأينا من ذلك جماعات للبر والإحسان ، وجماعات لدفن الموتى الفقراء ، وجماعات لتحفيظ القرآن ، وجماعات لتيسير الحج وجماعات لغير ذلك من مظان الخير والإحسان ؛ وليس يشك عالم بالإسلام فى أن هذه الاتجاهات جميعاً — حين يستقيم منهجها — تلتقى فى حجر الإسلام وتنبع من حقائقه النفسية والعلمية ومن أخلاقه العالية . ولكن الذى حدث فى تاريخ المسلمين هو أن كل اتجاه من هذه الاتجاهات استبد بأصحابه وقطعهم عن غيرهم وانطلقوا معه ، مع أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخذ هذا الدين هى القصد والاعتدال : «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » — وكان من ذلك أن أصبحت نظرة الصوفى الصالح إلى غيره أنهم محرومون محجوبون ، وأن اتُّهم علماء الكلام بالزيغ والإلحاد ، وأن انسعت علوم الفقه وتشعبت نواحيه حتى أصبح فناً يقصد لذاته ، وربما تقاطعت القلوب وتنافرت بسبب خلاف على سنة مع أن الأخوة فى دين الله فريضة ، هذه القطيعة التى أحدثتها غلبة هذه الاتجاهات على أصحابها واستبدادها

بهم ، كانت الثغرة التى نفذت منها الثقافات الدخيلة على الإسلام فوجدت طريقها سهلا فى كل اتجاه منها ووجدت أصحابه كالمعتصم بزاوية بين جدارين من بيت عتيق تهدّمت كل نواحيه ، فما أسهل أن يُؤتى من كل ناحية ! ! بل ما أسهل أن يدفن حياً فى زاويته النائية ! ! — كما كانت هذه القطيعة السلاح الرهيب الذى استعان به أعداء الإسلام فى تمزيق شمل الأمة الإسلامية ومكّنوا به للفكرة الوطنية والقومية الدخيلة على روح الأخوة العامة بين المسلمين .

أصيب الإسلام بهذا الغزو الثقافى الخبيث الذى شوه معانيه ، وأصيب المسلمون بهذه الفرقة التى أصبحوا بها طرقا وفرقا وجماعات ومذاهب ، فغابت وحدة الإسلام فى ذاته وتبددت وحدة المسلمين .

دين وسياسة :

على أن أخطر ما نكبنا به فى وعثاء هذا التيه هو اضطراب ميزان الفهم والتقدير فى أنفس كثير من المسلمين ، واختلاط الأمر عليهم كلما دعاهم داع إلى الإسلام الصحيح ؛ وقد تعثرت من جراء ذلك محاولات كثيرة للاصلاح لقيت العنت من المسلمين قبل غير المسلمين ، وقاست المر فى الوصول إلى قلوب المسلمين وعقولهم ، ولم تكن العقبة الأولى فى طريقها إلا الحدود العجيبة التى قامت فى أذهان كثير من الناس بين معانى الإسلام ، وأعجبها هذه الحدود التى جعلوها بين ما أسموه ديناً وما أسموه سياسة ، وبين المشايخ والساسة ، وذهبوا فى ذلك إلى أن من اشتغل بالدين حرمت عليه السياسة . فأنا مثلا محامٍ درست القانون ، وهى دراسة مدنية — لا دينية — تجعل لى فى مقاييسهم الحق فى « احتراف » السياسة ، حتى إذا تدينت وعرفت أحكام الله وقمت أدعو إليها لم يجز لى بعد ذلك أن أظل سياسياً ، بل علىّ أن أترك السياسة حينئذ لأهلها كأن شرطها ألا يكون لأهلها دين ، أو كأن التدين لا يجوز إلا أن يكون مغفلا لا يفقه فى شئون الأمة شيئاً . ولست أدرى كيف يسوغ أن تروج هذه البدعة « بدعة دين وسياسة » فى قوم يجعل نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم رباط ساعة فى سبيل الله خيراً من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود ، ويجعل لمن بات يحرس ليله من وراء المسلمين أجر من خلفه ممن صام وصلى ، ويجعل إماطة الأذى عن الطريق شعبة من الإيمان ! ! لكنها راجت ، واشتد رواجها ، فى كل مكان من بلاد المسلمين ومكّن لها تقصير أهل العلم بأحكام الإسلام فى تبليغ ما يعلمون ، سواء أ كان سبب ذلك خوفهم من الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، أو يأسهم من الإصلاح بعد أن استشرى الفساد

أوجهلهم هم روح الإسلام ، أوعقم أسلوبهم فى الدعوة والتعليم إزاء الصليبية الساهرة التى استعملت الحكومات الاستعمارية المسيحية فى صياغة مناهج دراسية معينة فى الأقطار التى استعمرتها ، فكان من بعض آثارها فى تدريس تاريخ أوروبا ترسب فكرة الفصل بين الكنيسة والدولة فى رؤوس شبابنا المثقف وكان هذا الشباب معذوراً حين ترجم ذلك إلى الفصل بين المسجد والدولة ، أى بين الدين والسياسة ، ولم يجد من يعلمه أن المسجد غير الكنيسة وأن القرآن غير الانجيل — مع احترامنا للأديان جميعاً — وأن حكم الإسلام ليس حكم قديسين يوحى إليهم ويتخذون أربابا من دون الله ، فقد انقطع الوحى بعد النبى صلى الله عليه وسلم . وأصبح المؤمنون لا يمتاز بعضهم عن بعض فى فهم نصوص الإسلام إلا بقدر مايدرسون ويعقلون؛ وليس حكم رهابنة يفرون من الحياة، فإن الإسلام جعل الدنيا كلها محرابا واسعاً يعبد الله فيه بكل حركة « إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » وليس رسالة نظرية تنزل بها جبريل من فوق سبع سماوات حتى يتلذذ الناس بتأملها والتفكير فيها والتشدق بألفاظها .... ولكنها نزلت كما قال الله الذى أنزلها « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله »...

ولقد رأينا كيف كان المسلم الأول صلى الله عليه وسلم إنساناً حياً يتجاوب مع كل معانى الحياة بأخلاق دعوته ، فهو فى نفسه القدوة العالية فى روعة الصلة بالله : كان يعبد الله بقدر علمه به ، وكان يقول « لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرش » ؛ وهو مع أهله كما يقول الأثر « أرق الناس هيناً ليناً بساما » ، وكان يقول «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» . وهو مع الناس جميعاً «وسع الناس بسطه وخلقه حتى صار لهم أباو صاروا عنده فى الحق سواء» ،وهو فى قضائه حين يقضى المثال العالى الحازم فى العدل وذلك رده للذى قال له : اعدل يا محمد : « ويحك ! ومن لم يعدل إن لم أعدل : خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل » ؛ وهو فى سياسته السياسى الداهية الذى غلب ساسة قريش بصلح الحديبية ،وهو فى حكمه الحاكم الذى لا يُنال بحيلة ولا يُؤتى من ضعف ... وقد رأيناغضبته يوم جاءه حبّه أسامة يناشده فى امرأة مخزومية سارقة وقوله له « أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ! » ... — ثم قوله للناس « أيها الناس : إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد [1] » « والذى نفسى بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » ؛ وهو صلى الله عليه وسلم فى شجاعته وجهاده البطل الصنديد الذى يفرّ الناس يوم أحد ويبقى هو فى مكانه لا يجاوزه شبرا « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم عن عائشة رضى الله عنها

أخراكم » ، والذى يقول عنه أصحابه « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فيكون أقربنا إلى العدو . . . . . » : فزع أهل المدينة ذات ليلة فخرج بعض الناس يستجلون الخبر فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم راجع على فرس عرى لأبى طلحة يقول « لا تراعوا » .

هكذا كان داعية الإسلام الأول : إنسانا حيا يتجاوب مع كل معانى الحياة بأخلاق دعوته ، وقد أُمر المسلمون أن يتخذوا حياتهم نهجا ينتهجونه « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

مثل حاضر :

ومثلنا الحاضر على ما أصاب الحركات الإسلامية بسبب اضطراب فهم المسلمين للاسلام هو ما أصاب « الإخوان المسلمين » فى مصر ، فإن ذنبهم الأكبر الذى أُخذوا به كان كما جاء فى الأمر العسكرى بحل جماعة الإخوان — وهو الأمر الذى ألغاه القضاء أخيراً — خلطهم الدين بما ليس فيه : من سياسة وتدريب عسكرى ومحاولة لتغيير نظام الحكم ، مع أن الإمام الشهيد الأستاذ حسن البنا رضوان الله عليه قد فصّل أصول هذه الحركة تفصيلا واضحاً منذ أربعة عشر عاما ، حين قال فى المؤتمر الخامس سنة ١٣٥٧ :

(تستطيع أن تقول ولا حرج عليك إن « الإخوان المسلمين » :

(١) دعوة سلفية : لأنهم يدعون إلى العودة بالاسلام إلى معينه الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

(٢) وطريقة سنية : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شىء ، وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

(٣) وحقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل والإعراض عن الخلق والحب فى الله والارتباط على الخير .

(٤) وهيئة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل وتعديل النظر فى صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج وتربية الشعب على العزة والكرامة إلى أبعد حد .

(٥) وجماعة رياضية : لأنهم يعنون بجسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لبدنك عليك حقاً » وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى ،

فالصلاة والصوم والحج والزكاة لابد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح فى طلب الرزق ، ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

(٦) ورابطة علمية ثقافية : لأن الاسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الإخوان هي فى الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

(٧) وشركة اقتصادية : لأن الاسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذى يقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ويقول : «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له » ، « إن الله يحب المؤمن المحترف » .

(٨) وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامى ، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا ترى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولا لكل مناحى الاصلاح ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحى وهم فى الوقت الذى يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعا ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً .

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضاً وما هو بمتناقض . فقد يرى الناس الأخ المسلم فى المحراب خاشعاً متبتلا يبكى ويتذلل ، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظا مدرسا يقرع الآذان بزواجر الوعظ ، وبعد قليل تراه نفسه رياضيا أنيقا يرمى بالكرة أو يدرب على العدو أو يمارس السباحة ، وبعد فترة يكون هو بعينه فى متجره أو معمله يزاول صناعته فى أمانة وفى إخلاص ، هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض ، ولو علموا أنها جميعا يجمعها الاسلام ويأمر بها الإسلام ويحض عليها الاسلام لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعانى الانسجام — ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحى من المآخذ ومواطن النقد والتقصير ، كما اجتنبوا التعصب للألقاب إذ جمعهم الاسلام الجامع حول لقب واحد هو « الإخوان المسلمون »)

أليس عجيباً أن يلقى هذا الداعية الواضح الواعى مصرعه على يد تنتسب للاسلام ؟ وأن يُسفك دمه فى قلب القاهرة فى مؤامرة مدبرة نكراء ؟ وأن يقبض على كل من

طفرت من عينيه دمعة الفجيعة وهو يرى جثمانه الطاهر فى طريقه إلى قبره محوطاً بالبوليس المدجج بالسلاح ؟ ؟

أو ليس أعجب منه أن يقف ممثل النيابة المسلم فى قضية سيارة الجيب[1] ليطالب برؤوس عشرات من تلامذة هذا الإمام الشهيد وأن تكون حجته عليهم « أن هؤلاء المجرمين . . أرادوا قلب نظام الحكم القائم ليحلوا محله حكم الخلفاء الراشدين ! ! » فضجت قاعة المحكمة بالضحك ، وهنا أدرك ممثل النيابة أنها ليست جريمة ... فاستدرك : أعنى الحكم الجمهورى ! !

ولكن دعوة الإخوان المسلمين استطاعت بالرغم من كل ما وضع فى طريقها من عقبات أن تنتصر فأخرجت رجالها من السجون ، وألغت أمر « الحل الرسمى » وعادت سيرتها الأولى أنصع صفحة وأوفر جمعا . ولم يكن سر نصرها — بعد تأييد الله — إلا التكامل فى أخذ معانى الاسلام والقوة فيها جميعا فلم يجد أعداؤهم ثغرة ينفذون إليهم منها ، بل وجدوا أنفسهم إزاء حصن حصين أعد لكل شىء عدته وقام على أساس وطيد تراه فى مثل كلمات إمامهم الشهيد رضى الله عنه وأرضاه :

أيها الإخوان المسلمون ، اسمعوا :

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بينى وبينكم إلى حين ؛ فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم ، فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات ، وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجتمعوا عليها ، وإن تحت كل كلمة لمعانى جمة .

أيها الإخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ولاحزباً سياسياً ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد . ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله وصوت داو يعلو مردداً دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ومن الحق الذى لاغلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس . إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم هذه سياسة ! فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام ؛ وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة ! فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ،

---

(١) هى القضية التى اتهم فيها الإخوان بمحاولة قلب نظام الحكم وبرأهم القضاء منها .

فإن ثرتم علينا ووقفتم فى طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين . وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا : « آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنتم به مشركين . . فإن لجوا فى عدوانهم فقولوا « سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين » !.

وحدة تستلزمها طبيعة الاسلام :

وحدة أحكام الإسلام التى مزقتها هذه الحدود والاتجاهات المختلفة ، صفة تستلزمها طبيعة الإسلام وهى طبيعة يمكن أن نقرأها فى عنصرين :

١ ــ وحدة المصدر : مرد أحكام الإسلام كلها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الله هو التنزيل الكريم : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » . وسنة رسول الله هى المأثور عنه فى تبليغ رسالة ربه من قول أو فعل أو تقرير ، وقد أمرنا الله فى ذلك أمراً بيناً : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » . « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وشأن المؤمن الصادق مع الكتاب والسنة لا يجوز إلا أن يكون كما قال الله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » . فكيف يكون حكمه إذا أخذ من أحكامها حكما وترك حكما ؟ إنه إما الضلال المبين ، وإما الكفر الصراح : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » .

وإنك تقرأ تحذير الله لنبيه : « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » وتأخذك الرعدة من قوله : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

إن برهان صدق المؤمن أن يكون دائماً حيث يحب الله أن يراه ، وأن يسارع فى كل أمره يجيب داعى الله « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » ــ ولذلك تجد خطاب التشريع فى كتاب الله : « يا أيها الذين آمنوا » . فوصف الإيمان فى أصحابه هو أساس التكليف ، وهو الأمر الذى تعرفهم

السماء وتناديهم به ، وتجعله الوازع العميق فى أنفسهم والحارس الأول على أمر الله فيها ، واقرأ معى إن شئت :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة . . . »

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى . . . »

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام . . . »

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا . . . »

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه . . . »

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . . . »

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . . . »

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إنِ استحبوا الكفر على الإيمان . . . »

وإنك لتقرأ القرآن فى نور هذا المعنى فيأخذك أسلوبه الإلهى القاهر فى مخاطبة هذا الإيمان . . وفى دأبه على تحريكه واستثارته وتزكيته : فهو حين يشرع مناسك الحج يردفها بقوله : « واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرُون » . وحين يفتى فى الإنفاق يعقب بقوله : « ومَا تفعلوا مِن خيرٍ فإنَّ اللهَ به عليم » . وحين يفرض القتال يقول : « واللهُ يعلم وأنتم لا تعلمون » . وحين يسرد أحكام النكاح يقول : « ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم . أولئك يدعون إلى النار واللهُ يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبينُ آياته للناس لعلهم يتذكرون » . ويقول : « واتقوا اللهَ واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين » . ويقول بعد الطلاق والرجعة : « ذلِكم يوعظُ به من كان منكم يؤمنُ بالله واليومِ الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر » . ويقول بعد آداب الخطبة : « واعلموا أنّ اللهَ يعلم ما فى أنفسكم فاحذرُوه واعلموا أن اللهَ غفورٌ حليم » . وبعد حد الزنا يقول : « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دينِ الله إنْ كُنتم تؤمنونَ باللهِ واليوم الآخر » . وبعد حد السرقة يقول : « نكالا مِنَ الله واللهُ عزيزٌ حكيم » . ويؤدب المقاتلين على الثبات بقوله : « ومَن يولهم يومئذ دُبرَه إلا متحرفاً لِقتالٍ أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » وفى الحثِّ على القتال : « أتخشونهم ؟ فاللهُ أحقُّ أن تخشوهُ إن كنتم مؤمنين » . وفى رعاية العهد : « فما استقاموا لكمْ فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » . و . . و . .

وهكذا تجد الأسلوب الإلهى فى التشريع يُذكر دائماً بالله الذى أحكمه وفصله وأنزله : « كِتابٌ أحكمت آياته ثمَّ فصِّلت من لدن حكيم خبير » . « وإنك لتُلَقّى القرآن من لدن حكيم عليم » ليستثير بالذكرى روح الإيمان فى الناس ، تارة بالترغيب فى مرضاته ورحمته ، وتارة بالترهيب من غضبه وعذابه ؛ والجنة والنار قائمتان تنتظران أهلهما ، وليس بين الناس وبينهما إلا سكرة الموت بالحق ، ثم حساب بين يدى الله عسير وسؤال للناس عما فعلوا بالذى أنزل إليهم : « فلنسألنّ الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين » .

فمنطق الإيمان الصحيح إذاً أن ينفذ المؤمنون أحكام الله جميعاً ولا يحيدوا عن حكم منها — أما إسلام الأسماء والمظاهر وشهادات الميلاد فحسب أصحابه نذير قول الله عز وجل : « ويَقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريقٌ منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » .

٣ — وحدة النفس الإنسانية :

هدف الشرائع الإلهية جميعاً هو « النفس الإنسانية » : أى حقيقة الإنسان فى أعماقه التى لا يراها غير صاحبها وعين الله الناظرة إليه ، والتى تنبعث منها خواطر الخير والشر ؛ وتكون من عندها الحركة الأولى نحو الخير أو نحو الجريمة : « ونفسٍ ومَا سوّاها فألهمها فجورها وتقواها » .

وكل ما سوى ذلك من خلْق الله الواسع — بالنسبة لهذه النفس — أدوات امتحان وميدان معركة ، حقيقة الفلاح معها أن تبقى النفس زكية طاهرة : «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » . وحقيقة الفوز فى نهايتها أن تنادَى بالنداء القدسى الجليل : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

ولقد جاء الإسلام خاتماً لهذه الشرائع ، يضع للنفس الإنسانية المنهج الخالد للحياة الطاهرة الزكية إلى يوم ينفخ فى الصور وتتبدّل الأرض غير الأرض والسماوات . . . وأساس هذا المنهج ليس الفرار من تبعات الحياة على « أرض الله » ، ولكن أساسه مواجهتها وحملها والسير إلى الله بها : « إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه » . ومن هنا كانت صناعة الأخلاق الفاضلة عملا رئيسياً تروّض له النفس فى شئون الحياة جميعاً ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[1] » .

---

(١) الإمام أحمد عن أبى هريرة .

ويقول : « إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها[1] » .

ومن هنا أيضاً كان تنظيم شئون الحياة المختلفة بحيث تعين على الاحتفاظ بأخلاقه العالية أمراً تستوجبه طبيعة الإسلام ، وأصبح من الضرورى أن تكون العلاقة بين المسجد والبيت والشارع والمدرسة والصحافة والسينما والمحكمة والسوق التجارية والمصنع والمزرعة والسياسة فى الداخل والخارج وشئون السلم والحرب ، علاقة انسجام وتعاون على « الخلق الرفيع » ، لاعلاقة خصام وتدابر وتنافر . . . والوحدة الأخلاقية بين هذه كلها — فضلا عن أنها علامة الصدق على إسلام الأمة واتجاهها إلى الله — هى الضمان الرئيسى لبقاء كل فرد فى نفسه مسلماً ، فإن المسلم نفساً واحدة يدخل بها المسجد ويدرس بها فى المدرسة ويقرأ بها الصحيفة ويمشى بها فى الشارع ويعمل بها ويتاجر بها ويسوس بهـــا ، ولن يستطيع أن يعيش مسلماً إذا تخلفت مناهج الدراسة والصحافة والشارع وسوق التجارة والسياسة عن أخلاق الإسلام ، ولن يغنى المسلم فى حسابه بين يدى الله أن يعتذر بدروس المسجد وأمانى الخير ودموع الحسرة على حال الإسلام والمسلمين ، فإن ميزان الله لا يعرف علماً بغير عمل ، وحسبنا فى ذلك ما رواه صاحب الموافقات فى الحديث الصحيح عن عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول عبد الرحمن بن غنم : خرج علينا رسول الله ونحن جلوس (ندرس) فى مسجد قباء فقال : « تعلموا ماشئتم أن تعلموا فإن الله لن يأجركم حتى تعملوا » ولا عذر للناس بعد أن أقام الله موازين العمل فى أحكام هذا الدين ، وجعلها أحكاما كلية لا ضيق معها ولا حرج : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

ثم إنك إذا أضفت إلى وحدة النفس الإنسانية فى تفاعلها مع شئون حياتها المختلفة ، طبيعة الحياة الاجتماعية فى تشابك هذه الشئون ، رأيت كيف تستحكم حلقات الوحدة بين أحكام الإسلام جميعا . إن الإسلام يقطع يد السارق ، وهذا نص جنائى ، ولكنه لا يقطع يد السارق الجائع . . . إنه قبل ذلك يكفل له التعليم الذى يبين له أمر الله والمطعم والمسكن والملبس والتطبيب التى يعتبرها حاجات ضرورية لا تقوم الحياة الانسانية إلا بها وحداً أدنى لا يجوز أن تنزل حياة كل قاطن لدار الاسلام عنه ، ويفرض على الحاكم المسلم أن يحقق ذلك لكل فرد إما بعمله أو بالزكاة إذا لم يجد عملا أو كان غير قادر على العمل أو كان دخل عمله لا يكفيه . . . فإذا لم تقم الزكاة بهذه الحاجات جميعا كان له أن يأخذ من أموال الأغنياء ما يكفى ... ؛ وهكذا ترى ارتباط « النص الجنائى »

(١) الجامع الصغير عن الطبرانى — رجاله ثقات .

فى حد السرقة « بالتنظيم الاجتماعى » فى شئون الأمة «بعدالة التوزيع فى الاقتصاد »
« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا » .

الوحدة فى الصلاة :

وجميل أن يلتفت المسلم إلى صورة هذه الوحدة فى صلواته كل يوم وليلة . . . فهو ذا قائم فى المحراب يناجى ربه ، حتى إذا أشرق قلبه بمعانى فاتحة الكتاب ، وشرع يقرأ ما تيسر من القرآن . . . رأيته يقرأ مرة آيات فى التقوى وحسن الخلق ، ومرة أخرى آيات فى الوصية والميراث ، وثالثة فى القانون المدنى ، ورابعة فى القانون الجنائى ، وخامسة فى أحكام القتال والصلح والمعاهدات . . . والمسلم الذى يقرأ كل ذلك هو هو لم يتغير ، وكل ذلك قرآن ، أنزله الله الذى يقبل عليه بصلاته ويسجد خاشعا لجلاله « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » .

نصيحة للدعاة :



فعلى دعاة الاسلام وهم يدعون الناس إلى الأخذ بشريعة الإسلام مجتمعة أن يذكروهم بالله الذى أنزلها حتى يستشعروا رهبتها وجسامة المخالفة عنها ، وعليهم مع ذلك أن يذكروهم بأنفسهم وكرامتها على الله ونظره إليها ، وبمهمتهم فى تشييد صرح الحياة الفاضلة وإسلام أوضاعهم كلها لأمر الله ، وأن يضربوا الأمثال للتشابك الطبيعى بين مختلف شئون الحياة ، وكيف عالجها الإسلام جميعا ، حتى تتصل الدعوة النظرية فى كل منهم بسبب عملى . . . وعلى الدعاة فى كل ذلك أن يلجأوا إلى سيرة المسلم الأول صلى الله عليه وسلم يستمدون منها الصورة العملية لكل معنى يدعون الناس إليه ، فقد كان الهيكل الكريم الذى انصبت عليه أركان الدين كله فعاشت به فى الناس مثلا كاملا يراه الناس فى لحم ودم ، وعاش بها «إنسانا حياً يتجاوب مع شئون الحياة كلها بأخلاق دعوته » — وقبل ذلك كله ومعه وأهم منه : أن يكون هؤلاء الدعاة أنفسهم مُثُلا كريمة للدعوة حيث كانوا ، وأن تكون حياتهم كلها — فى أنفسهم وبيوتهم وشئون معاشهم — وحدة يحكمها أمر الله .

فى الفقه الإسلامى

الطابع العام للشريعة الإسلامية

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

جاء الإسلام بعد أن استنفد كل من الأديان السابقة أغراضه ، وصارت الإنسانية مستعدة لتقبّله ، وأحسّت بالحاجة المُلِحّة لرسالة سماوية جديدة تكون خاتمة الرسالات جميعا ، وتشوّفت لدين جديد يسير بها قُدُماً إلى حياة العز والكرامة والسعادة ، لافرق بين جنس وجنس وأمة وأخرى . فهو لم يجىء لإسعاد فرد أوطائفة من الناس على حساب آخرين من إخوانهم فى الدين أو الإنسانية بعامة ، بل ليُفهم الجميع بأنه ليس للناس جميعاً إلا إله واحد والعالم كله تعبده ؛ وإذاً فلاضرر ولاضرار ، ويجب أن تكون الحقوق التى تمنح للأفراد وسيلة للصالح العام وإسعاد المجموع .

من أجل ذلك ، نجد الطابع العام للشريعة الإسلامية طابع جماعى لا فردى . ونقول : « جماعى » لا « اشتراكى » لأن كلمة « اشتراكية » أخذت فى هذه الأيام معنى خاصا حدّدها أو قصرها على الناحية المالية ، ونحن نريد « بالجماعية » معنى أوسع يتناول الناحية المالية وغيرها حتى ليَعُمّ الحقوق والواجبات جميعا .

وهذا الطابع الجماعى للتشريع نجده واضحاً فيما جاء به الإسلام من عبادات ، كما هو واضح فيما أتى به من أحكام المعاملات التى نراها فى الحياة العملية . فكل هذه التشريعات فى هاتين الناحيتين تهدف لتهذيب الفرد وصالحه والصالح العام للمجتمع عامة . والمثل لذلك واضحة ندركها جميعاً وتكفينا فيها الإشارة ؛ فنشير مثلا إلى حكمة شرعية الصلاة والصوم والزكاة ، وحِلّ البيع وتحريم الربا ، والأمر برعاية الجار والوفاء بالعقود ، وتحليل الزواج لإنشاء الأسرة وتحريم الزنا ، وإقامة الحدود صيانة للمجتمع ، إلى آخر ما نعرف من الأحكام التى جاءت بالأمر والنهى والحِلّ والحرمة .

وبعد هذا التعميم لابد من التخصيص ، وذلك بالإتيان ببعض المثل المحدّدة الواضحة الدلالة على مانقول ، نعنى أن الطابع العام للتشريع الإسلامى هو الطابع الجماعى لاالفردى:

١ — من حق الزوج أن تكون زوجته فى طاعته لتكون سَكَناً له وليثمر الزواج ثمراته المنشودة منه ؛ ولكن هذا الحق مقيد بألا يكون فى استعماله ضرر للزوجة ، وإلا مُنع منه أو حد القاضى من استعماله ، حتى ليكون للزوجة فى بعض حالات الضرر طلب التطليق منه . ومن ثمَّ ، يقول الله تعالت حكمته فى سورة النساء : « فأمسِكُوهُنّ بمعروف أو سَرِّحوهن بمعروف ولا تُمسِكُوهن ضِراراً لتعتدوا » وهذا الأمر وإن كان جاء حالة التطليق ، إلا أنه هو القاعدة حالة قيام الزواج أيضا .

٢ — من حق الحكام أن تسمع لهم الرعية ويطيعهم الشعب ، ولكن ذلك مشروط بأن يصدروا فى حكمهم وسياستهم للأمة عن المصلحة العامة ، وفى هذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره إلا أن يُؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . وهذا الحديث تجده فى مسند الإمام أحمد بن حنبل ، كما رواه البخارى أيضاً من طرق عديدة . وهو ، كما نرى ، أصل له خطره الكبير من أصول الحكم ، إذ أنه يحدد فى دقة تامة سلطة الحاكم وحقوق المحكوم ، وفى اتباعه مصلحة الأمة جميعا .



٣ — روى عن أبى عبيدة بن الجراح أن رجالا من أهل البادية سألوه أن يرزقهم ، فقال : لا ، والله لا أرزقهم حتى أرزق أهل الحاضرة ، فمن أراد بَحْبَحَة الجنة فعليه بالجماعة . وبمثل هذا كتب عمر بن عبدالعزيز إلى يزيد بن الحصين يقول : « مر للجند بالفريضة ، وعليك بأهل الحاضرة ، وإياك والأعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم » .

وهنا يقول راوى هذين الخبرين أبو عبيدة القاسم بن سلاّم المتوفى عام ٢٢٤ (كتاب الأموال ص ٢٢٧ — ٢٢٨) : بأنه ليس وَجْه هذا أنهم لم يكونوا يرون لأهل البادية حقا فى الفيء ، ولكنهم أرادوا أنه لا فريضة لهم راتبة تجرى عليهم من المال كأهل الحاضرة الذين يجامعون المسلمين على أمورهم ، ويعينونهم على عدوهم بالنفس أو المال ، مع معونتهم على إقامة الحدود وحضور الأعياد والجمع وتعليم الخير . أما أهل البادية ، فلهم على الأمة المعونة فى أوقات الشدة ، كما إذا أصابتهم جائحة فى أرزاقهم أو دهمهم عدو مثلا .

٤ — يروى الإمام أبو يوسف فى كتابه الخراج (ص ١٤ — ١٥ من الطبعة الأميرية) أنه لما فتح الله العراق والشام على المسلمين فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أراد فريق كبير من الصحابة قسمة الأرض وما عليها بين المسلمين أصحاب الحق

بحكم الفتح ، لكن الفاروق رأى أن يترك الأرض بيد مُلاّكها على أن يدفعوا الخراج والجزية ، وكان من كلامه فى هذا : « والله لا يُفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نَيْل ، بل عسى أن يكون كلاًّ على المسلمين . فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها ، فما يُسَدُّ به الثغور ، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق !.. أرأيتم هذه الثغور لابدّ لها من رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة لابدّ لها من أن تُشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم ، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج ؟ فقالوا جميعا الرأى رأيك ، فنعم ما قلت وما رأيت » ! وكان هذا الرأى توفيقاً من الله لعمر بن الخطاب كما عوّده فى كثير من الحالات .

٥ — ومن المعروف أن المالك الحق فى أن يتصرف فى ملكه كما يشاء ومن ذلك حق البيع لمن يريد ، كما أن المشترى الحق فى أن يشترى ما يشاء إذا رضى مالكه بيعه له ، ومع هذا فقد شرع الله حق الشفعة للشريك أو الجار على ما هو معروف ، فيكون له تملك ما اشتراه الأجنبى جبرا عنه وعن المالك الذى باعه له ، وذلك لأن الحقوق لم يشرعها الله لضرر الغير بلا سبب أو ضرورة .

إن الشريعة الإسلامية تحفظ الحق لصاحبه بلا ريب ، وتبيح له استعماله كما يريد ، بل وتزيد عن هذا وذلك أنها تحميه له من اعتداء الغير . ولكن بجانب هذا كله ، تعمل من ناحية أخرى على ألا يُضارّ الغير باستعمال صاحب الحق حقه ضررا يكون أكبر من الحدّ من حرية صاحب الحق ، وذلك تطبيقا لقاعدة : لا ضرر ولا ضرار ، ودفعا لأكبر الضررين بالأخف منهما . فهاتان القاعدتان تحكمان استعمال الحقوق ، وفى تطبيقهما تحقيق لصالح صاحب الحق ولصالح الغير أيضا .

٦ — ومن أجل هذا ، نرى الشريعة تقرر حق الشَّفة ، أى حق شرب الإنسان والنَّعَم والدواب من العين أو البئر أو القناة من الماء تكون ملكا خاصاً بأحد من الناس . فليس لهذا المالك أن يمنع ابن السبيل من أن يشرب منها ويسقى دابته كذلك منها .

وفى هذا يروى التاريخ حديث عمر بن الخطاب (رضى الله عنه وأرضاه فقد كان دائماً الفاروق بحق !) فى القوم السَّفْر الذين وردوا ماء فطلبوا من أهله السماح لهم بالشرب منه وسقى دوابهم فأبوا ، فقالوا لهم إن أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت تنقطع من العطش ، فأبوا عليهم أيضاً إسعافهم بحاجتهم من الماء ، فلما رجعوا وذكروا ذلك للفاروق قال : هلاّ وضعتم فيهم السلاح ! (كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٥٥) .

وقريب من ذلك ما رواه يحيى بن آدم القرشى المتوفى سنة ٢٠٢ (كتاب الخراج طبعة المطبعة السلفية ص ١١١) ، أن رجلا أتى أهل ماء فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشا ، فألزمهم عمر بن الخطاب ديته ، ولم يمنعه من ذلك أنهم منعوا ما يملكون .

٧ — ومن المُسَلَّم به شرعاً وقانوناً أن مالك الأرض له أن يتصرف كل تصرف يكسبه إياه حق الملكية ، ومن ذلك أن ينتفع بها سواه بغير إذنه على أى نحو كان هذا الانتفاع . لكن الشريعة أباحت لكل إنسان أن ينتفع بما فيها من كلأ مباح فله أن ينزل بها ليصيب منه حاجته ، كما أباحت للغير أن يمرّ بها ليستقى لنفسه ودوابه مما يكون بها من مجارى المياه ، اللهم إلا إذا أخرج له المالك حاجته من الكلأ أو المياه ليمنعه من النزول بها .

بل إن للغير أحيانا الحق فى أن يحفر فيها مجرى ماء ليروى منه أرضه البعيدة عن مصدر الماء . لقد روى يحيى بن آدم القرشى فى كتابه المذكور آنفاً (ص ١١٠ — ١١٢) بطرق مختلفة أنه كان للضحاك بن خليفة الأنصارى أرض لا يصل إليها الماء إلا إذا مرّ ببستان لمحمد بن مَسْلَمة ، فأبى محمد هذا أن يدع الماء يمرّ بأرضه ، فأتى الضحاك عمر فذكر له ذلك ، فقال عمر لابن مسلمة : أعليك فيه ضرر ؟ قال : لا ، فقال له : فوالله لو لم أجد له ممراً إلا على بطنك لأمررته . وكان أن نفذ ما قضى به الفاروق ، وكان فى هذا القضاء مصلحة للاثنين معا ؛ فقد جاء فى بعض الروايات أن الضحاك ، حين أبى عليه ابن مسلمة أن يحفر الخليج بأرضه ، قال له : تشرب منه أولا وآخرا .

هذا ، ولو شئنا لأتينا بمثل أخرى كثيرة ، ولكن فيما ذكرناه منها كفاية لإثبات الطابع الجماعى للتشريع الإسلامى ، هذا الطابع الذى نجد فى القرآن وسنة الرسول وأحكام الجلّة من الصحابة رضوان الله عليهم المصدر الأصيل له ، وذلك — كما قلنا — لأن الشريعة الإسلامية لم تأت لصالح الفرد وحده بل لصالح المجتمع كله فى أكبر حدوده .

أما القوانين التى هى من صنع البشر ، فلم تلاحظ فى أول أمرها هذه النظرة الجماعية أو الاجتماعية السامية ، بل كانت تسودها الروح الفردية ، ولنأخذ مثلا لذلك القانون المدنى الفرنسى الذى صدر عام ١٨٠٤ م ، وكان وليد الثورة الفرنسية التى كان هدفها الأول تحرير الفرد مما كان ينوء به من قيود وأثقال فى السياسة والقانون والاقتصاد وغير ذلك كله من نواحى الحياة العامة ، فجاءت الثورة عام ١٧٨٩ م لتة

أن للانسان بإعتباره فرداً حقوقاً طبيعية بلغت من القداسة حداً لا يجيز العبث أو المساس بها والانتقاص منها لصالح غيره .

« ومن ثم ساد هذا القانون روح فردى قوى يلتئم مع الروح الذى أملى إعلان حقوق الإنسان . وهو تدعيم حقوق الأفراد وحمايتها ، وينظر إلى الفرد باعتباره العنصر الأهم فى الحياة لا باعتباره جزءاً من كل هو الجماعة . ولقد كان من نتائج ذلك أن أتى وقت اعتبرت فيه الحقوق مطلقة المدى ، وأن صاحب الحق فى استعماله سيد لا يُسأل عما يترتب على هذا الاستعمال من الأضرار التى تحيق بغيره[1] » .

ومن الحق أن ما حدث بعد عصر الثورة من تطورات اجتماعية واسعة المدى والأهمية ، قد أدّى إلى تطور مماثل فى القوانين جعلها تنظر إلى الفرد وحقوقه باعتباره عضواً فى الجماعة ، ومن ثم أخذت فى الحدّ من حريته فى استعمال حقوقه ، فنشأت هذه النظرية التى سميت فيما بعد بنظرية سوء استعمال الحقوق « La théorie de l' abus des droits » .

إلا أنه مع هذا ، بقى من الثابت الذى لاريب فيه أن نظرة الشريعة الإسلامية لحقوق الأفراد وتقييدها ، بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر مصلحة الفرد نفسه صاحب الحق ، أوسع مدى وأبعد أثراً من نظرة القوانين الحديثة فى هذه الناحية[2] .

ونعتقد أن هذه التفرقة الواضحة بين طابع الشريعة الإلهية وطابع القانون البشرى ترجع إلى تفرقة أساسية فى أصل حقوق الفرد فى الشريعة والقانون .

إن القانون فى أول أمره يعتبر حقوق الفرد حقوقاً طبيعية له ، فهو يملكها ويتصرف فيها حسب ما يرى ، ومن ثم لاحرج عليه ولا تثريب إن أساء استعمالها . أما الشريعة الإلهية فتعتبر أن الفرد نفسه وكل ما اعتبر له من حقوق ملك لله تعالى وحده ومنحة منه لعبيده ، ولا يمنح ما يمنح من حقوق للأفراد إلا لغرض حكيم هو تحقيق الخير للفرد والمجتمع معاً . ومن هنا نجد تقييد استعمال الحقوق الفردية من نواح مختلفة عديدة .

ذلك ، إن من المسلم الذى لا جدال فيه « أن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد

(١) انظر « مدى استعمال حقوق الزوجية وما تتقيد به فى الشريعة الإسلامية والقانون المصرى الحديث » للدكتور السعيد مصطفى السعيد بك الأستاذ بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول ، ص ٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٣

فى العاجل والآجل معاً[١] » ، وقد ذهبت المعتزلة إلى أن أحكامه تعالى معللة برعاية مصالح العباد ، وهذا ما إختاره أكثر الفقهاء المتأخرين[٢] . ويترتب منطقياً على هذا الأساس أن يكون الإنسان فى عمله واستعماله لحقوقه متفقاً مع قصد الله من التشريع ، وأن كل من ابتغى فى تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقضها ويكون عمله لهذا باطلا ، والدليل على ذلك من وجوه كثيرة[٣] .

***

وبعد ! فهذا الطابع الجماعى للتشريع الإسلامى هو بعض خصائص هذا التشريع الذى يحقق لنا خير الدنيا والآخرة ما إن اتبعناه واعتززنا به وجعلناه أساس حياتنا العملية ، وربما كان لنا عودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، والله المستعان .



« لا أدرى »

قال مالك : « سمعت ابن هرمز يقول : ينبغى أن يورّث العالم جلساءه قول لا أدرى ، حتى يكون ذلك أصلا فى أيديهم يهرعون إليه ؛ فإذا سئل أحدهم عما لا يدرى ، قال لا أدرى . . »

وقال ابن وهب « كان مالك يقول فى أكثر ما يسأل عنه لا أدرى »

« المدارك »

(١) الموافقات فى أصول الأحكام للشاطبى المتوفى عام ٧٩٠ طبعة منير الدمشقى سنة ١٣٤١ هـ ، جـ ٢ : ٢ .

(٢) نفس المرجع ونفس الموضع .

(٣) نفس المرجع ، جـ ٢ : ٢٣٠ وما بعدها .

التشريع الجنائي الإسلامي

سؤال وجواب

للأستاذ عبد القادر عوده

أثار ما جاء فى العدد الثانى من مجلة (المسلمون) فى مقال التشريع الجنائى الإسلامى فى الصحيفة رقم ٥٠ تساؤل كثير من الإخوان عن حكم الاستمناء وهل هو مباح أو محرم وظلوا يلاحقوننى بالأسئلة فرادى حتى رأيت أن أنشر عليهم حكم المسألة بعد استقصائها .



وأحب أن يعلم الجميع أن الرأى الذى ذكرته هو رأى ابن حزم رحمه الله ويكاد التعبير يكون تعبيره والحجة حجته المحلى ح ١١ ص ٣٩٢ .

وقد جاء فى المقال أيضا أن الفقهاء تكلموا فى هذا فكرهته طائفة وأباحته أخرى وحرمته ثالثة وحجة الكارهين أنه ليس من مكارم الأخلاق ولا من الفضائل ، وأشير فى هامش المقال إلى كثير من المراجع الفقهية .

والآن نستعرض آراء آخرين استقيناها من أمهات كتب التفسير .

جاء فى تفسير ابن كثير « أن الإمام الشافعى استدل هو ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بالآية الكريمة « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم » قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال الله تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

وقد استأنس أصحاب هذا الرأى بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفه فى جزئه المشهور حيث قال : حدثنى على بن ثابت الجزرى عن مسلمة بن جعفر عن حيان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم يوم القيامة مع العالمين ويدخلهم النار فى أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول ومد من الخمر والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره »

وهذا حديث غريب وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته والله أعلم « تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٢٣٩ طبعة المكتبة التجارية .

ويقول صاحب المحيط فى تفسيره « ما وراء ذلك يشمل الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمناء والجمهور على تحريم الاستمناء ويسمى الخضخضة وجلد عميرة ، وكان أحمد بن حنبل يجيزه لأنه فضلة فى البدن فجاز إخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة .

ويقول صاحب المحيط أن حرملة بن عبد العزيز سأل مالكا عن ذلك فتلا هذه الآية ، وكان جرى كلام فى ذلك مع قاضى القضاة أبى الفتح محمد بن على بن مطيع العشرى ابن دقيق العيد فاستدل على منع ذلك بما استدل مالك من قول الله « فمن ابتغى وراء ذلك » فقلت له إن ذلك خرج مخرج ما كانت العرب تفعله من الزنا والتفاخر بذلك فى أشعارها وكان ذلك كثيرا فيها بحيث كان فى بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا ينكرون ذلك ، وأما جلد عميرة فلم يكن معهودا فيهم ولا ذكره أحد منهم فى أشعارهم فما علمناه فليس بمندرج فى قوله وراء ذلك ، ألا ترى أن محل ما أبيح وهو نساؤهم بنكاح أو تسرّ فالذى وراء ذلك هو من جنس ما أحل لهم وهو النساء فلا يحل لهم شىء منهن إلا بنكاح أو تسرّ » تفسير المحيط لأبى حيان ص ٣٩٧ الجزء السادس الطبعة الأولى مطبعة السعادة .

ويقول الألوسى « اختلف فى استمناء الرجل بيده فجمهور الأئمة على تحريمه وهو عندهم داخل فيما وراء ذلك وكان أحمد بن حنبل يجيزه ، وقال ابن الهمام يحرم فإن غلبته الشهوة ففعل إرادة تسكينها فالرجاء أن لا يعاقب .

ومن الناس من منع دخوله فيما ذكر ثم أتى على رأى صاحب المحيط ورد عليه بقوله وأنت تعلم أن جلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد عند العرب فالظاهر أن الفعل كان موجوداً فيما بينهم وإن لم يكن كثيرا شائعا فمتى كان ذلك من أفراد العام لم يتوقف اندراجه تحته على شيوعه كسائر أفراده » تفسير الألوسى حـ ٥ ص ٤٨٦ طبعة بولاق .

ويقول صاحب روح البيان « استدل بعض المالكية بالحديث « ومن لم يستطع — أى التزوج — فعليه بالصوم » على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزوج إلى أن الصوم الذى يقطع الشهوة جائز — وفى رواية الخلاصة الصائم إذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن

قصد به تسكين شهوته وأرجو أن لا يكون عليه ويل . وفى بعض حواشى البخارى ، والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة ثم قال المفسر والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملقن وغيره . نعم يباح عند أبى حنيفة وأحمد إذا خاف على نفسه الفتنة ، روح البيان لإسماعيل حقى ج ٤ ص ٦١ ، ٦٢ .

وجاء فى تفسير القرطبى : قال محمد بن عبد الحكم سمعت حرملة بن عبد العزيز قال سألت مالكا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الآية « والذين هم لفروجهم حافظون إلى قوله العادون » ويسميه أهل العراق الاستمناء . وأحمد بن حنبل على ورعه يجوزه ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة كالفصد والحجامة . وعامة العلماء على تحريمه ، وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها ولكن الاستمناء ضعيف فى الدليل عار بالرجل الدنىء فكيف بالرجل الكبير » الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٢ ص ١٠٥ ، ١٠٦ طبعة دار الكتب .

ويقول الطبرى : من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فإنه غير ملوم على ذلك ولا مذموم ، ومن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فأولئك هم العادون أى المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم ، تفسير الطبرى الجزء الثامن عشر ص ٤ .

ومن الناس من استدل على تحريم الاستمناء بشىء آخر غير قوله تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » من ذلك ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « ناكح اليد ملعون » وما روى عن سعيد بن جبير « عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم » وما روى عن عطاء « سمعت قوما يحشرون وأيديهم حبالى وأظن أنهم الذين يستمنون بأيديهم » تفسير الألوسى الجزء الخامس ص ٤٨٦ طبعة بولاق .

تلكم هى آراء الفقهاء والمفسرين نخرج منها بأن بعضهم يحرم الاستمناء وبعضهم يحله وأن ممن يحرمه مالكا والشافعى وزيد بن على وأن ابن حزم يحله وكذلك أحمد ابن حنبل وأن أبا حنيفة يحله إذا خيفت الفتنة .

وأحب من ناحيتى أن يعلم الجميع أنه لو سلم بحرمة الاستمناء بالبدن فإنه ككل محرم يباح عند الاضطرار لقوله تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » فإذا كان هناك ضرورة لا ترد إلا بالاستمناء فى هذه الحالة يباح إتيان الفعل استثناء للضرورة .

وإذا سلم بأنه مباح أصلا فيجب أن يعلم أن الطب الحديث قد أثبت أن الاعتياد على الاستمناء ضار أشد الضرر بالجسم والعقل ، والإسلام يحرم كل ما يعود بالضرر على الإنسان ، ومن هذه الناحية يحرم الاعتياد على الاستمناء باليد . ويحرم من الاستمناء ما أدى إلى تكوين العادة تطبيقاً لقاعدة ما أدى إلى الحرام فهو حرام .

والخلاصة أن الاستمناء باليد محرم على الأقل لما له من أضرار على الصحة والعقل وأنه لا يجوز إلا لمضطر .

والله أسأل أن يوفقنا إلى الخير وأن يهدينا سواء السبيل ؟

يد السماء

أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثى قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله : أفضالة ؟ قال : نعم ، فضالة يارسول الله ؟ قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لاشيء ، كنت أذكر الله ؟ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ؟ فكان فضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى ما من خلق شيء أحب إلى منه ، صلى الله عليه وسلم .

« ابن هشام »

الدعوة الإسلامية إلى غير أهل الكتاب

للدكتور محمد حسن الصغير

. . . . . رئيس تحرير « المسلمون » :

. . . . . وبعد ، فهذا رأى خاص دفعتنى إليه غيرتى الدينية ورحلاتى العديدة فى الخارج . فلقد عشت فى أوربا ردحاً من الزمن ، قبست فيه من روح الأمير شكيب أرسلان العالية — عن قرب واحتكاك — . فدفعنى إلى العناية بحاضر العالم الإسلامى ودراسة شئونه دراسة منظمة مستمرة . ثم قيض لى أن أطوف بشواطىء أفريقية الشرقية حيث ينشط إخواننا مسلمو الباكستان والهند فى نشر الدعوة الإسلامية وإن كانت تنقص حركتهم المباركة بعض التوجيهات والإرشاد . وخرجت من دراستى بأن العالم الإسلامى مقصر فى أمر نشر الدعوة تقصيراً معيباً ، وأن الحاجة ماسة إلى تنظيم شئونها على نهج حديث .

والرأى عندى أنه يجب أن يكرس النشاط الأكبر فى توجيه الدعوة إلى غير أهل الكتاب . فالوثنيون ومن هم على شاكلتهم هم أولى الناس ببث الدعوة الإسلامية وأكثرهم تقبلا لها ؟

محمد حسن الصغير

الإسلام منذ ظهوره دين دعوة ، فقد حمل دعاته الأول رسالتهم إلى شعوب البلاد التى فتحوها مهتدين بهدى الرسول ، تدفعهم حميتهم الدينية إلى الإنذار بالوعد الحق . وألقى على عاتق المؤمنين كافة منذ البداية تبليغ الرسالة ، وانبرى من بينهم فريق من الدعاة وقفوا حياتهم على نشر الدين الحنيف . على أنه لم يكن للاسلام هيئة منظمة للدعوة مثل هيئات التبشير بالنصرانية التى تدعمها الكنيسة وتؤيدها الحكومات النصرانية ، فظل دعاة الإسلام يجتهدون اجتهاداً فردياً ، لا تربطهم رابطة وثقى ، ولا تضمهم هيئة منظمة . ومن ثم كان إشراق النور المحمدى فى أغلب البقاع النائية إشراقاً ربانياً ينساب من قلب إلى قلب ، ويستضىء به شعب من شعب .

إلى أن مر العالم الإسلامى بفترة سكنت فيها ريح الدعوة الإسلامية بعد عصف ، وخفت صوتها بعد قصف . ويعزى ذلك إلى تأخر المسلمين مادياً وسياسياً بعد غلبة العالم الغربى وطغيان نفوذه السياسى . ومن ثم نشطت الجماعات المنظمة للتبشير بالنصرانية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

من العمل والإنتاج الاقتصادى لابد أن ينالوا بغيتهم عن طريق هذا النظام . ومن أجل هذه الغاية سنَّ الإسلام فى شريعته أن تجبى « زكاة » بنسبة ٢٫٥ ٪ سنويا على الثروة المتكدسة فى البلاد وعلى رأس المال المتداول فى التجارة سواء بسواء . ويجمع مقدار ٥ ٪ أو ١٠ ٪ من الإنتاج الزراعى للأراضى العشرية [1] جميعها ، كما يجمع من إنتاج بعض المناجم بنسبة ٢٠ ٪ . كذلك تجبى هذه الضريبة السنوية بنسبة خاصة على الماشية التى يملكها أى فرد إذا زادت عن حد أدنى مقرر يتمتع بالإعفاء (النصاب) . وحصيلة هذه الجباية كلها يجب أن تنفق لمساعدة الفقير واليتيم والمسكين . والزكاة بهذه الصورة أسلوب فى تحقيق الضمان الاجتماعى ، فى ظلها لا يتأتى أن يعيش واحد فى المجتمع الإسلامى بغير ضرورات الحياة . ولا يمكن أن يجبر عامل تحت ضغط الجوع على الرضوخ لشروط العمل التى يمليها صاحب المصنع أو مالك الأرض . ولن يكون الفرد عرضة لانهيار قواه عن أدنى مستوى يمكن صاحبه من أن يدلى بدلوه فى الكفاح الاقتصادى .

ويهدف الإسلام لإقامة ميزان بين المصالح المتقابلة للفرد والجماعة كى يرقى بذاتية الفرد وحريته الشخصية ، على أن يضمن فى الوقت نفسه ألا تكون هذه الحرية ضارة بمصالح المجموع ، بل ينبغى حتما أن تنتفع الجماعة منها . فالإسلام لا يؤيد تنظيما سياسياً أو اقتصادياً يرمى إلى إذابة الفرد فى المجموع وتجريده من الحرية الضرورية لنمو شخصيته على أساس سليم . فإن النتيجة المحتومة لتأميم كل وسائل الإنتاج فى قطر من الأقطار هو تعجيز الجماعة للأفراد جميعا ، فيتعذر استمرار كيانهم الفردى وتقدم هذا الكيان إلى حد كبير ، إن لم يصر هذا مستحيلا تماماً ؛ فإن الحرية الاقتصادية ليست أقل ضرورة للفرد من الحرية السياسية والاجتماعية ، بل هى لازمة له إلى أبعد مدى . فإذا كنا لا نقصد إلى استئصال شعور الفرد بكيانه وإنسانيته تماما ، فإن علينا أن نفسح له فى حياتنا الاجتماعية المجال الكافى لإبراز حريته فى كسب عيشه حتى يثبت فى نفسه حرية الضمير ويغدو فى وسعه أن ينهض بمواهبه الخلقية والعقلية وفقاً لميوله

---

[1] الأرض الزراعية من حيث الضريبة الواجبة فيها نوعان : أرض يجب فيها عشر ما يخرج منها أو نصف عشره وتسمى الأرض العشرية ، وأرض يجب فيها مقدار يعين عليها باعتبار مساحتها أو الخارج منها يسمى الخراج وتسمى الأرض الخراجية ومرجع هذا التقسيم الى صفة اليد الموضوعة على الأرض ابتداء وقت فرض ضريبتها ، فإن كانت إسلامية كانت الأرض عشرية ، وإن كانت غير إسلامية كانت الأرض خراجية — راجع رسالة الخراج — النظم الإسلامية (الطبعة المفصلة) ص ٢٦٥ : ٢٦٧ — السياسة الشرعية لخلاف ص ١١٧ : ١٢١ (المترجم) .

الذاتية . وهيهات لمن يعيش على حصة مقررة ، تقديرها فى أيدى الغير ، أن يكون سعيداً بحاله مهما كانت حصته هذه وافية كافية ، لأن تعويق السمو الخلقى والروحى الذى يؤدى إليه هذا الوضع المهين لا يمكن أن يعوض أو يعادل بمجرد صحة البدن ووفرة الثروة ! !

وكما أن الإسلام لا يرضى عن مثل هذا النظام فإنه لا يعلن رضاه أيضا عن نظام اجتماعى يعطى للأفراد حرية اقتصادية واجتماعية مطلقة العنان ، ويمنحهم « إذناً على بياض » ليحققوا مصلحتهم الفردية ويرضوا رغائبهم ولو على حساب مصالح الجماعة بأسرها . وهكذا يختار الإسلام طريقه الوسط بين الإفراط والتفريط ، فيدعو الفرد نفسه أولا ليقبل قيوداً والتزامات معينة فى سبيل مصالح الجماعة ، ثم يدعه بعد ذلك حراً يدبر شئونه الخاصة . وليس هذا مجال الإفاضة فى بيان كل هذه الالتزامات والحدود ، فقد يغنى هنا أن نعرض لهذا فى إجمال .

ولنتناول أولا قضية كسب العيش . إن العناية الدقيقة التى تحراها الإسلام فى التمييز بين الحلال والحرام فى الكسب لا تتأتى لأى قانون قائم فى العالم . فهو قد عدّ من الكسب غير المشروع كل وسيلة يرتزق منها إنسان بالنيل من مصالح غيره من الناس ، أو مصالح المجتمع كوحدة ، سواء من الناحية الأخلاقية أو المادية . فشريعة الإسلام تحرم بتاتاً صناعة الخمر وسائر المسكرات وتجارتها ، كما تحرم الزنا واحتراف الرقص ولعب الميسر . . . والمضاربة وأنواع « اليانصيب » ، كذلك تحرم الصفقات الوهمية والاحتيالية والصفقات التى تحمل فى طبيعتها جراثيم النزاع بين أطرافها والمعاملات التى يكون الربح لجانب فيها مضموناً أكيداً بينما يتأرجح الجانب الآخر فى مهب الريح مفتقداً الثقة والطمأنينة والضمان ، وشريعة الإسلام تحرم أيضا التلاعب بالأسعار عن طريق الامتناع عن بيع ضرورات الحياة ، إلى غير ذلك من أمثال هذه الصفقات التى تضر مصالح الجماعة . وإذا ما أمعنت النظر فى هذا الجانب من قوانين الإسلام الاقتصادية فلسوف تعرض لقائمة طويلة من الوسائل التى حرمها الإسلام ، والتى لو وجدت لها مكاناً لأتاح معظمها للكثيرين الفرصة كى يتربعوا على الملايين فى ظل الرأسمالية القائمة . لكن الإسلام يحرم هذه الوسائل كلها فى شريعته ، ويكفل حرية الكسب فى حدود الوسائل الكريمة وحدها للتى يستطيع الفرد خلالها أن يقدم للجماعة خدمة حقيقية نافعة ، ومن ثم يكون له بعدها أن يطالب عنها بعوض عادل صحيح .

والإسلام إذ يقرر للفرد حقوقه فى تملك ثروته التى كسبها عن طريق حلال ، فإنه لا يدع هذه الحقوق المقررة بلا حدود . فهو يدعو الفرد لينفق ماله الحلال فى وجه حلال وبكيفية مشروعة . وقد وضع من القيود على الإنفاق ما يحجز به المرء عن تبديد ثروته فى الملاذ الكمالية فى الوقت الذى يعيش فيه المعيشة اللائقة . فإبراز المكانة والاعتداد بالنفس من الأمور التى لاينبغى لإنسان أن يتجاوز فيها الحدود حتى يقيم من نفسه إلهاً فوق البشر . ولقد حرمت بعض صور الإنفاق بوضوح وجلاء ، أما بعضها الآخر فلئن لم يمنع صراحة إلا أن الدولة الإسلامية قد مُنحت من السلطة ما تحجز به الناس عن إنفاق الثروات فى المحرمات .

ويباح للفرد أن يجمع من الثروة ما يتخلف عن نفقاته المشروعة والمعقولة ، وله أن يستثمر هذه الثروات فى إنتاج المزيد ، ولكن لايترك الإسلام كنز المال أو تنميته دون قيود . ففى الحالة الأولى عليه أن يدفع زكاة ما يتجمع لديه من مال يربو على النصاب المقرر فى كل عام بنسبة ربع العشر (٢٫٥ ٪) . أما إذا رغب فى استثمار ثروته فى أحد المرافق فله أن يفعل ذلك ولكن فى حدود المباح من الأعمال المشروعة . فمن المباح للشخص أن يباشر عملا مشروعا بنفسه ، أو أن يشترك فى الربح والخسارة مع غيره مقابل تقديم ما لديه من رأس مال قد يكون فى صورة مال أو عقار أو قد يكون فى صورة أدوات وخصائص لازمة لحرفة من الحرف . وفى هذه الحدود ما على الواحد من جناح فى نظر الإسلام إذا ما بلغ به عمله إلى ذروة الغنى ، بل إن هذا أحرى أن يعتبر من الله فضلا عظيما . ولكن الإسلام يشترط هنا على الفرد أمرين فى سبيل مصالح الجماعة كوحدة : أول الأمرين أن يؤدى زكاة بضائعه التجارية وعشر غلة إنتاجه الزراعى [1] . وثانى الأمرين هو إلزامه بالقسط فى المعاملة مع شركائه فى التجارة أو الصناعة أو الزراعة ، ومع من يعملون تحت يده . وإذا لم يلتزم واحد واجب العدل من تلقاء نفسه فإن الدولة الإسلامية تجبره على ذلك .

وبعد هذه الحدود الشرعية فى موارد المال ومصارفه لا يدع الإسلام الثروة المتجمعة بعد إنفاذ هذه التعاليم مركزة فى يد واحدة لأمد طويل . فعن طريق شريعته فى الميراث ينثر الإسلام تلك الثروة من جيل إلى جيل . واتجاه الإسلام فى هذه الناحية مخالف

---

(١) وقد يؤخذ منه أكثر من ذلك إذا اقتضته الحاجة العامة لجماعة المؤمنين ولم تقم الزكاة بهذه الحاجة ففى المال حق سوى الزكاة . وسلطان الدولة فى ذلك مطلق حتى تستوفى الجماعة حاجتها . . .

(التحرير)

لاتجاه شرائع العالم الأخرى . فجميع هذه الشرائع تعمل على أن تبقى الثروة التى تجمعت يوما مركزة جيلا بعد جيل . أما الإسلام فيصوغ شريعته على عكس ذلك تماما . فبمقتضى هذه الشريعة فرض على الثروة التى يجمعها الشخص مدة حياته أن تتوزع بين أقاربه الأقربين فور وفاته . فإذا لم يوجد هؤلاء جاء دور الأقارب الأباعد فى الميراث وفقا لما قررته الشريعة ، لكل واحد منهم نصيب مفروض ، فإذا افتقدنا هؤلاء أيضا خُوّل المجتمع المسلم بأسره حق الميراث . وهيهات أن يبرز فى ظل هذا التشريع ، أو أن يفلت منه صاحب قناطير مقنطرة أو ضياع واسعة ! ! فإن هذه الضربة الأخيرة كفيلة بأن تطيح بما عسى أن يكون قد مرق رغم القيود السالفة من مساوىء التجمع والتركز فى الثروات ؟



بالسلاح . . .

روى أبو هريرة :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم من ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى ؛ فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، قال عمر : فوالله ماهو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

« مسلم والترمذى وأبو داود »

سبحات فكر

لسعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

السجود لله

سجدة تخفض الجباه ، ولكن عزّ فيها مسبّح وتعالى
ظنها الجاهلون غُلا على العبد ولكن تحطم الأغلالا
خرّ فيها لساجد كل شيء يرهب الكونُ قوله والفعالا
تثبتُ الوجهَ والجوارحَ في الأرض ولكن تقلقل الأجبالا
تهدم الشرك والوساوس في النفس ولكن تشيد الأجيالا
في سكون وللقلوب مسير سخر الأرضَ رهبة وجلالا
هي لله وحّدته فقرّت وعنت كلّ غاشم يتعالى
من وعاها وعى السيادة في الأرض جلالا ورحمة وجمالا

***

فقد الطمأنينة والثقة

حكي أن رجلين سافرا في قطار ليلا . ولم يكن في العربة معهما ثالث ، فاستوحش كل واحد من صاحبه ، وتوجس منه شراً فنظر إليه يرقبه خائفاً أن يفتك به ، وكلما نظر أحدهما إلي الآخر زاد خوفه وكثرت وساوسه ، وخيل إليه الوهم أن صاحبه سيفتك به إن لم يبادره هو بالفتك ، وبقيا كذلك في قلق وخوف وحذر حتى إفترقا .

قلت : ولم يكن بعيداً أن يبغت أحدهما صاحبه بضربة قاضية ، ولم يكن بعيداً أن يتخالسا نفسيهما بضربتين تقضي عليهما أو أن يتضاربا ويتجالدا حتى يقتل أحدهما الآخر ، كل هذا من الريبة والتهمة وفقد الثقة .

وكذلك الأمم اليوم فريقان ، كل ينظر إلى صاحبه ويخافه ويحذر منه ، ويتوهم أنه مفاجئه اليوم أو غداً ، وكل يعمل ليل نهار للتسلح والإعداد بكل ما خلق العلم

والصنعة من آلات مقتلة مدمرة مخربة . وكل ينادى أنه لا يبغى إلا السلام ، ولكن صاحبه يضمر له الغدر وينوى به الفتك فماذا عسى أن يفعل .

وليس بعيداً أن يتماديا فى التنافر وتبادل التهم حتى يفجأ فريق فريقاً بحرب ليدفع عن نفسه ، أو يفاجىء الفريقان بعضهما بعضاً على وفاق . ذلكم بما فقدت الأمم من الثقة ، وإنما فقدت الثقة بما جربت من الغدر والكذب ، وإنما تكاذبوا وتغادروا بما فقدوا من المروءة التى كانت تنأى بالأحرار عن هذه الرذائل ، وإنما فقدوا المروءة حينما هبطوا من الإنسانية إلى الحيوانية ، وصاروا أشباحاً بلا أرواح ، وعبدوا الحسيّات ، وغفلوا عن المعنويات . فهل من معتبر ؟

* * *

كل يقول لى وليس من يقول على

تملأ الأرض صيحات المطالب ، كل واحد يقول : حقى فأعطونى ، وكل طائفة تقول : غبنت فزيدونى ، وكل أمة تنادى : أنا أريد مالى فلا تلومونى .

ولا تسمع من يقول : هذا ليس لى ، وهذا حق غيرى ، ولا تجد من يقول : أخذت حقى فلا أستزيد ، وفلان مغبون فهو أولى بالمزيد ، ذلكم بما تسلطت الشهوات وغلبت الجثمانيات ، وانقلب الإنسان حيواناً ، لا يقف ولا يعدل . كل من اشتهى شيئا سعى إليه ، وكل من رغب فى شىء طمع فيه والجسم لا يعترف إلا بلذاته ، والهوى لا يبالى بغير نزواته ، فأيقظوا الأرواح وعلموها العدل والإباء والكرامة ، وأن فى الحياة أمراً وراء البدن ، وأن فى اللذات لذة غير جثمانية ، وأن للناس مطالب روحانية . بصروا الناس بالحياة الكريمة لتسمعوا من يقول : هذا أستطيعه ولا أفعله ، وهذا أعطاه ولا أقبله ، وهذا أشتهيه وأعف عنه ، وهذا ينفعنى وأفر منه . حينئذ يقول الإنسان : واجبى قبل أن يقول حقى ، ويقول : حقى وحق غيرى ، ويقول : هذا لغيرى كما يقول هذا لى : ويومئذ يجمع الناس الحق بعد أن باعد بينهم الباطل ، ويؤلفهم العدل بعد أن فرقتهم الأهواء ، وتلفهم المحبة بعد أن باعدت بينهم البغضاء .

فطرة إلى سعادة البشرية

لسماحة السيد أبي الحسن الندوى

وكيل ندوة العلماء بالهند

بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغت شقاوة الإنسانية غاية ماوراءها غاية. وكانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون لايتعرضون لخطر ولا خسارة ولا محنة، لهم النعيم الحاضر والغد المضمون؛ إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم فى سبيل خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة ويعرضون نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر والضياع، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم للتالف والكساد، ويخيِّبون آمال آبائهم وأصدقائهم فيهم حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم شعيب له: «لقد كنت فينا مرجواً قبل هذا».



إنه لابقاء للانسانية ولاقيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين. وبشقاء هذه الحفنة من البشر فى الدنيا — كما يعتقد كثير من معاصريهم — تنعم الإنسانية وتسعد الأمم ويتحول تيار العالم من الشر إلى الخير. ومن السعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم، وتضيع أموال وتكسد تجارات لبعض الأفراد، وتنجو نفوس وأرواح لايحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم.

علم الله عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أن الروم والفرس والأمم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن لاتستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر وتتحمّل المتاعب والمصاعب فى سبيل الدعوة والجهاد وخدمة الإنسانية البائسة، ولا تستطيع أن تضحِّى بشىء من دقائق مدنيتها وتأنّقاتها، وأنه لايوجد فيها أفراد يقوون على قهر شهواتهم والحدّ من طموحهم والزهد فى فضول الحياة ومطامع الدنيا والقناعة بالكفاف؛ فاختار لرسالة الإسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة والجهاد، وتقوى على التضحية والإيثار. تلك هى الأمة العربية القوية السليمة التى لم تبتلعها المدنية ولم ينخرها البذخ والترف، وأولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلُّفاً.

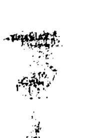
قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدّى حقوقها من الجهاد فى سبيلها وإيثارها على

كل ما يقف فى وجهها والعزوف عن الشهوات ومطامح الدنيا ، فكان فى ذلك أسوة وإماماً للعالم، كلّمه وفد قريش وعرض عليه كل مايغرى الشباب ويرضى الطامحين: من رئاسة وشرف ومال عظيم وزواج كريم ، فرفض كل ذلك فى صرامة وصراحة . وكلمه عمّه وحاول أن يحدّ من نشاطه فى سبيل الدعوة ، فقال : ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم كان أسوة للناس فى عصره وبعد عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد والإيثار والزهد وشظف العيش ، وأقل قسط من العيش وأسباب الحياة ؛ فقد أوصد على نفسه الأبواب وسدّ فى وجهه الطرق ، وتعدّى ذلك إلى أسرته وأهل بيته والمتّصلين به ، فكان أكثر الناس اتصالا به وأقربهم إليه أقلّهم حظاً فى الحياة وأعظمهم نصيباً فى الجهاد والإيثار ، فإذا أراد أن يحرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته وبيته ، وإذا سنّ حقاً أو فتح باباً لمنفعة قدّم الآخرين وربما حرّمه على عشيرته الأقربين : أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمّه عباس بن عبد المطلب فوضعه كلّه ، وأراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأبطله ، وسنّ الزكاة وهى منفعة مالية عظيمة ، مستمرة إلى يوم القيامة ، فحرمها عشيرته بنى هاشم إلى آخر الأبد ، وكلّمه على بن أبى طالب يوم الفتح فى أن يجمع لبنى هاشم الحجابة مع السقاية فأبى ، وطلب عثمانَ بن طلحة وناوله مفتاح الكعبة وقال هاك مفتاحك ياعثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء ، وقال خذوها خالدة تالدة فيكم لاينزعها منكم إلا ظالم ، وحمل أزواجه على الزهد والقناعة وشظف العيش ، وخيرهن بين عشرته مع الفقر وضيق العيش ، ومفارقته مع السعة والرخاء ، وتلى عليهن قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما » . فاخترن الله والرسول ، وتأتيه فاطمة تشكو إليه ماتلقى فى يدها من الرحى وقد بلغها أنه جاءه رقيق ، فيوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ، ويقول : إنه خير لها من خادم ، وهكذا كان شأنه مع أهل بيته والمتّصلين به فالأقرب ثم الأقرب .

وآمن به رجال من قريش فى مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيما ، وكسدت تجارتهم ، وحُرم بعضهم رأس ماله الذى جمعه فى حياته ، وحُرم بعضهم أسباب الترف والرخاء ، وأناقة اللباس التى كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة وانصراف الزبائن عنه ، وحُرم بعضهم من نصيبه فى ثروة أبيه .



ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة وتبعه الأنصار تأثرت بذلك بساتينهم ومزارعهم، فلمّا أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها لم يُسمح لهم بذلك، وأنذرهم الله به فقال: « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ».



وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم، فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد وخسائر النفوس والأموال أعظم من نصيب أى أمة فى العالم، وقد خاطبهم الله بقوله: « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين » وقال: « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » لأن سعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدّمونه من تضحية وإيثار، وما يتحملون من خسائر ونكبات، فقال: « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » وقال: « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون » وكان إحجام العرب عن هذه المكرمة وترددهم فى ذلك امتداداً لشقاء الإنسانية واستمراراً للأوضاع السيئة فى العالم، فقال: « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ».



وقد وقف العالم فى القرن السادس المسيحى على مفترق الطرق: إمّا أن يتقدم العرب ويعرّضوا نفوسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يعزّ عليهم للخطر، ويزهدوا فى مطامع الدنيا ويضحوا فى سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم؛ فيسعد العالم وتستقيم البشرية وتقوم سوق الجنة وتروج بضاعة الإيمان، وإما أن يؤثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم الفردية على سعادة البشرية وصلاح العالم؛ فيبقى العالم فى حمأ الضلالة والشقاء إلى ماشاء الله. وقد أراد الله بالإنسانية خيراً إذ تشجّع العرب — بما نفخ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم من روح الإيمان والإيثار وحبب إليهم الدار الآخرة وثوابها — فقدموا أنفسهم فداء للانسانية كلها، وزهدوا فى مطامع الدنيا طمعاً فى ثواب الله وسعادة النوع الإنسانى، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، وضحّوا بكل مايحرض عليه الناس من مطامع وشهوات وآمال وأحلام، وأخلصوا لله العمل والجهاد فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين.

وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول ووقف العالم على مفترق الطرق مرة ثانية: إما أن يتقدم العرب — وهم أمة الرسول وعشيرته — إلى الميدان ويغامروا

بنفوسهم وإمكانياتهم ومطامحهم ، ويخاطروا بما هم فيه من رخاء وثراء ودنيا واسعة ، وفرص متاحة للعيش ، وأسباب ميسورة ؛ فينهض العالم من عثاره وتتبدل الأرض غير الأرض ، وإما أن يستمرئوا فى ما هم فيه من طمع وأنانية ، وتنافس فى الوظائف والمرتبات ، وتفكر فى كثرة الدخل والإيراد وزيادة غلة الأملاك ، وربح التجارات ، والحصول على أسباب الترف والتنعّم ؛ فيبقى العالم فى هذا المستنقع الذى يتردّى فيه منذ قرون .

إن العالم لايسعد وخيرة الشباب فى العواصم العربية عاكفون على شهواتهم : تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون فى غيرهما ، ولايترفعون عن الجهاد فى سبيلهما. ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية أكبر منهم نفساً ، وأوسع منهم فكراً ؛ إذ ضحوا بمستقبلهم وراحتهم فى سبيل المبادىء التى اعتنقوها ، بل قد كان الشاعر الجاهلى « امرؤ القيس » أعلى منهم همة إذ قال :

ولو أننى أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

إنّ العالم لايمكن أن يصل إلى السعادة إلاّ على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدّمها الشباب المسلم . إنّ الأرض لفى حاجة إلى سماد ، وسماد أرض البشرية الذى تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هى الشهوات والمطامح الفردية التى يضحّى بها الشباب العربى فى سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم ، وانتقال الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة ، إنه لثمن قليلٌ جداً لسلعة غالية جداً ؟

لم يوجد ..

لم يوجد قط رجل تطلع تطلعاً مقصوداً أو غير مقصود ، إلى غاية أسمى مما تطلع إليه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، إذ كانت غايته أسمى مما يتطلع إليه الإنسان : كانت ترمى إلى نسف الأباطيل التى قامت بين الإنسان وخالقه ، وحمل الإنسان على عبادة الله وحده .

« لامارتين »

انجلترا والعالم الإسلامي

للدكتور محمد ضياء الدين الريس
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة فؤاد الأول

٢ — مفترق الطرق

استعرضنا تاريخ انجلترا — في مقالنا السابق — إلى مطالع القرن السادس عشر ؛ وقلنا : إنها إلى ذلك العهد كانت لا تزال دولة صغيرة ، محدودة الموارد ، تعيش عالة على أوروبا ؛ ولم تكن تملك شبراً واحداً خارج المياه المحيطة بها .

غير أنه في خلال هذا القرن حدثت تغيرات كثيرة في حياة أوروبا والعالم ، ثم في حياة انجلترا : فقد أخذت تظهر آثار حركتي « الإحياء » و « الإصلاح الديني » . والأولى ليست إلا اهتمام الأوربيين بقراءة كتب الإغريق والرومان ؛ والأخرى هي المطالبة بأن يكون للفرد حق قراءة الكتب المقدسة ، والحد من سلطان الكنيسة التي كانت تحجر على حرية الفكر ؛ وإذا كانت هاتان الحركتان قد بدأتا عهداً جديداً في حياة أوروبا فهما لم تفعلا في الواقع إلا أنهما قربتا أوروبا في هاتين الناحيتين من مبادئ الإسلام : فالمسلمون قد قرأوا آثار القدماء ودرسوا كتب اليونان منذ حركة الترجمة في العصر العباسي ، ولم تعرف أوروبا « أرسطو » إلا عن طريقهم ؛ والإسلام قد حرر عقل الفرد من سلطان الهيئات المستغلة واعترف له بحق الاجتهاد ، بل قرر أن الإيمان لا يصلح إلا على أساسه .

ولكن كان من نتائج هاتين الحركتين أن تكون في أوروبا « الوعي الجديد » الذي أخذ منذ ذلك الوقت ينمو ويزداد ، وكان الأساس لكل ما تلاه من حركات النهوض والتقدم . وانضمت إليه عوامل أخرى كانت من الوجهة العملية أكثر أهمية ، وكانت هي ذات الأثر المباشر في تحول أوروبا من عصور التفكك والضعف والفقر إلى العصر الحديث ، الذي أخذت تملك فيه أسباب القوة وتحرز وسائل الغنى ، وتستأثر بالجاه والسلطان : وفي مقدمتها أولا : نشاط حركة الكشف الجغرافي ،

والتوفيق إلى العثور على العالم الجديد أو القارة الأمريكية بما تحتوى من موارد غنية لا حصر لها وأراض شاسعة ؛ وارتياد البحار والمحيطات ومعرفة صلات القارات بعضها ببعض ؛ واكتشاف الطريق من أوروبا إلى الهند ، فالشرق الأقصى ، عن طريق رأس الرجاء الصالح . وعامل ثان : هو تكون دول إقليمية قوية منظمة تنظيما حديثاً ، تعتبر أن قوتها تستمد من قوة الشعوب ؛ وتعمل دائبة عن وعى ، ووفقاً لمناهج مدروسة نظامية ، لرفع شأن هذه الشعوب ، وتوفير كل أسباب القوة والرخاء لها . فوجود هذه الحكومات المنظمة الصالحة ذات المبادئ والتى جندت نفسها لخدمة مصالح شعوبها ، والعثور على هذه الكنوز المطمورة أو التى كانت مجهولة فى العالم الجديد وفى جميع أنحاء العالم ، مع الوعى العقلى الذى نشأ نتيجة للتحرر من أوهام الكنيسة وخرافاتها — كل هذا دعا إلى التنافس بين تلك الدول ، وأدى إلى ازدياد النشاط الاقتصادى والعمرانى ، وبالجملة هو الذى أوجد « أوروبا الحديثة » .

وانتفعت انجلترا بنتائج كل تلك الحركات واشتركت بعد وقت متأخر فى هذا النشاط ، وإن لم يكن لها أى فضل فى إيجاد الأسباب التى أدت إليها . ووجهتها هذه الوجهة أسرة « التيودور » التى كانت تحكمها فى خلال هذا القرن ، وكانت حريصة كل الحرص على خدمة مصالحها والنهوض بها : فأورثها « هنرى السابع » حكومة مستقرة غنية ، وبنى لها « هنرى الثامن » أول أسطول لها — وسيكون الأسطول أقوى سلاح فى يدها فى القرون التالية — وشجعت الملكة « اليصابات » حركات المغامرين والقراصنة ، وكان هدفهم الاعتداء على سفن الدول الأخرى التى سبقتهم إلى الاكتشاف والاستعمار كأسبانيا وهولندة والبرتغال . ثم تأسست « شركة الشرق » للتجارة ، وفى أواخر عهدها عام ١٦٠٠ تأسست « شركة الهند الشرقية » التى سيكون لها تاريخ حافل والتى كانت طليعة استعمار القارة الهندية بأكملها .

ولكن العالم الإسلامى كان إلى ذلك العهد لا تزال تمثله امبراطوريات قوية : فالدولة العثمانية فى الشرقين الأدنى والأوسط ، والدولة الفارسية الصفوية فى إيران ، والإمبراطورية المغولية فى الهند . ويقول المؤرخون الأوربيون أنفسهم إن اسم السلطان « سليمان القانونى » كان أضخم اسم فى أوروبا فى القرن السادس عشر . وكان الجيش العثمانى الإسلامى أقوى جيش فى القارة كلها بل فى العالم ! كان قوة رهيبة تنظر إليه أوروبا وجلة مذعورة ، إذ كان دوى انتصاراته المتتالية — ولا سيما منذ افتتح « محمد الفاتح » القسطنطينية وفتحها وقضى بذلك على الامبراطورية البيزنطية — لا يزال يرن

فى آذانها . وقد وقف الجيش أيضاً فى عهد السلطان سليمان عام ١٥٢٩ على أسوار « فينا » وهدد بفتحها ، وارتجت أوروبا كلها لذلك الحادث ، وأسرعت إلى نجدتها مع الشتاء ، خوف أن تلحق بأختها القسطنطينية وقد التمس « فرانسوا الأول » ملك فرنسا من السلطان أن يمنحه بعض « ضمانات » تحمى أفراد رعيته من التجار — الذين كانوا لا يستطيعون عبور حدود الدولة العلية — وهى التى تطورت فيما بعد إذ تغيرت الأحوال إلى أن صارت « امتيازات » .

وكتبت الملكة « اليصابات » إلى السلطان فى عهدها عدة رسائل تتقرب إليه ، ومما ادعته أنها قالت إن دين دولتها « البروتستنتى » أقرب إلى الإسلام من الدين « الكاثوليكى » الذى تتبعه فرنسا منافستها فى التجارة ! وكان للدولة العثمانية أيضا أسطول قوى فى البحر الأبيض المتوسط ، أرهب أوروبا وقتا طويلا ؛ كما أن سلطانها امتد فى أنحاء ولايات البلقان حتى شمل الجنوب الشرقى من أوروبا كله . وكانت الدولتان الفارسية والهندية قويتين أيضا فى حدودهما ومحيطهما ، تمتلكان موارد كثيرة ولهما جيوش منظمة وأساطيل . والأخيرة منهما تحكم قارة الهند المترامية الأطراف مع أن عدد سكانها من الهندوكيين وغيرهم يزيد على أربعة أضعاف عدد السكان من المسلمين .

كل هذا كان فى وقت لا يعتبر بعيدا فى نظر التاريخ ، أى فى خلال القرن السادس عشر ، والقرن المذكور فى اعتبار المؤرخين هو القرن الأول أو الثانى من العصر الحديث . فالعالم الإسلامى فى مطلع العصر الحديث كان لا يزال عملاقا هائلا ، مخوف القوة ، تمتد المساحة المطوية بين ذراعيه من شمال البلقان والمحيط الأطلسى إلى جبال التبت وسهوب آسيا ؛ بل أبعد من ذلك . ويتمثل فى تلك الامبراطوريات الثلاث وتبدو الدول الأوروبية إلى جانبه وحدات صغيرة لم تتيقظ إلا منذ عهد قريب وهى حديثة النعمة ، تفكر فى مرضاته والتقرب إليه ، ولا تستطيع عبور حدوده إلا بإذن ، وإذن صادر عن تعطف وتنازل .

وقد بقى هذا العالم محتفظا بمركزه ونفوذه طوال القرن السابع عشر أيضا ، وحتى منتصف القرن التالى ، وهو الثامن عشر . فإلى هذا الوقت ، أى منذ قرنين فقط من الزمان ، وهى فترة قصيرة فى نظر التاريخ لا تزيد على أعمار ثلاثة رجال ، كان التوازن لا يزال محفوظاً بين الشرق والغرب ، بل كانت كفة الشرق لا تزال تتذبذب نحو الرجحان . إذ كانت الامبراطورية العثمانية ما فتئت قادرة على أن تناضل روسيا ، — روسيا الحديثة التى نظمها بطرس الأكبر — وتنزل بها هزائم فادحة كما حدث حين

أجبرتها على عقد معاهدة « بلغراد » عام ١٧٣٩ . وكانت شروطها فى صالح الدولة العلية . وظلت تركيا تحكم بلاد البلقان حتى بعد هذا العهد بوقت طويل .

ولكن منذ هذا الوقت حدث تطور بالغ الأثر فأخذ ميزان القوى يتأرجح ثم مالت كفة القوة والغلبة نحو الغرب . وأخذت المسافة بين العالمين تتسع ، وصار الغرب يزداد قوة ودول الشرق تزداد ضعفاً وانحلالا . وكان النصف الثانى من القرن الثامن عشر هو بدء التحول أو نقطة الافتراق . وكان لا بد من حدوث ذلك ، كان لا بد أن يمر الشرق بأوقات عصيبة . ولا بد أن يجتاز محنة ، محنة قاسية عنيفة تتقاضاه جهوده ودماءه ، وترهقه بالآلام الممضة وتملأ فصول حياته بالمآسى ! ! فإنه إذا كان الشرق الإسلامى قد بقى إلى ذلك الوقت وهو متماسك الأجزاء محتفظ بمظهر قوته فإنما قد بقى بقوة الدفع فقط ، هذه القوة التى ظلت تدفعه أكثر من ألف عام ، وكانت تتجدد ما بين حين وآخر بآثار قوى إصلاحية تظهر من عهد إلى عهد. ولكن فى خلال هذه القرون الأخيرة من حكم الدولة العثمانية وكذلك الدولة المماثلة لها فى الهند كان الشرق قد فقد عوامل القوة والحيوية ، وأصبح جسما أو هيكلا ضخما بدون روح . وذلك لأن روحه كانت هى الإسلام وهو قد أخذ منذ وقت طويل يبتعد عن روح الإسلام ويخالف مبادئه ، بل إن حياته الاجتماعية ونظم الحكم فيه والقوانين أو السياسات التى تنفذها حكوماته كانت تحدياً سافراً للاسلام نفسه :

فالحكم قائم على القوة والاغتصاب ، لا على الشورى . وغاية الحكم إسعاد طبقة معينة ، لا تحقيق مصالح الأمة . وطرق الحكم الرشوة والفساد واستغلال النفوذ ، لا العدالة ولا المساواة . والأرض إقطاع ، وانقسمت الأمة إلى طبقات ، والولايات والمناصب تباع وتشرى بطريق المزاد ، والجيوش أصبحت مأجورة مرتزقة لا يحرك حماسها وطنية ولا دين ، والأمة مهملة لا يفكر أحد فى توفير وسائل المعيشة لها ، ولا ينظر إليها إلا على أنها السائمة الحلوب التى تدر الخير لسادتها ، إلى أن جاء وقت نضب فيه المعين وجف الضرع من شدة الظلم والطغيان والاستغلال . ووقف العلم عند حد لا يعدوه منذ قرون حتى صار ألفاظاً وقشوراً . وبالجملة تحول الإسلام إلى مجرد عقائد فردية بعد أن كان نظاماً للمجتمع ، وأساساً للدولة ، ودستوراً للتشريع ، وحافزاً إلى الرقى والازدياد من المعرفة ، ورافعاً للقوة المعنوية فى الفرد والجماعة لبلوغ غايات القوة والمجد . فهكذا تقوض أساس الحياة الاجتماعية فى ظل هذه الدول الجوفاء ، فى ظل الحكم التركى الإقطاعى ، سواء فى آسيا الصغرى أو فى الهند . وفقد الشرق

رسالته ، وساد حياته الركود ، وغفل عن سنن الله فى خلقه . وإذ أصبحت فيه حكومات بلا شعوب صار من السهل أن تقع هذه الحكومات واحدة بعد الأخرى فريسة لأول طامع أوروبى ينقض عليها يريد استغلالها أو التهامها ! ومن هنا وجدت الظروف المناسبة للاستعمار ؛ وبدأ عهد الاستعمار الذى لا نزال نعانى آثاره إلى اليوم .

بينما فى الغرب كانت أوروبا ، ومعها انجلترا . قد أخذت تجنى ثمار تلك النهضة التى وصفناها آنفاً ؛ وكانت تلك النهضة فى ذاتها — كما ألمعنا إلى ذلك فى المقال السابق — قبساً من نهضة البلاد الإسلامية إبان عصورها الزاهرة . واهتدت الأمم الأوروبية بالتجارب وبالعقل والعلم إلى بعض مبادىء الفطرة السليمة التى دعا إليها الإسلام . فتكونت لها إذن عوامل القوة : فوجدت فيها الدول المنظمة التى تعمل لتحقيق مصالح الشعوب — وإن كانت فكرتها ظلت قومية لا عالمية — وصار الحكم فيها فناً يقوم على خطط مرسومة ، وبدأت الدعوة تنتشر وتقوى من أجل العدالة والمساواة — ولكن فى حدود الوطن الواحد — وأخذ التشريع الاجتماعى يهدف إلى حماية الحقوق وكفالة الكرامة الإنسانية ، واتجهت الجهود كلها إلى الإنتاج والعمران والعمل على زيادة الثروة . وزخرت الحياة الأوروبية بالنشاط فى مختلف ميادين الصناعة والتجارة بعد الزراعة . ثم توجت هذه الجهود كلها بحدوث ما عرف فى التاريخ باسم « الثورة الصناعية » . وهذه الثورة الصناعية التى بدأت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر هى التى ضمنت لأوربا التفوق وهى التى كفلت لحركة الاستعمار النجاح ، وهى التى قلبت ميزان القوى بين الشرق والغرب .

وهذه « الثورة الصناعية » عبارة عن مجموعة الاختراعات التى اكتشفت منذ هذا الوقت وإلى نحو قرن بعد ذلك فى عالم الصناعة ، ومنها اكتشاف القوة البخارية وطرق استخدامها وتحسن صنع الآلات وازدياد تنوعها ، ومعرفة استغلال المناجم ، وتقدم الوسائل المستعملة فى صناعة النسيج والتعدين والبناء وغيرها ، وما أدى إليه ذلك من إيجاد وسائل جديدة للنقل وسرعة المواصلات باختراع القاطرات والسفن البخارية التى أخذت تربط الأقطار البعيدة بعضها ببعض ، ونحو ذلك .

وكانت انجلترا أسبق الدول إلى الانتفاع بآثار تلك الثورة ، وبدأت فيها الحركة الصناعية الجديدة ، فازداد رخاؤها ، بعد فترة انتقال واضطراب ، وصارت فى أثناء القرن التاسع عشر أغنى الدول الأوروبية وأقواها .

وكانت قد ذهبت إلى الهند أولا للتجارة ، ثم أخذت منذ منتصف القرن الثامن

عشر تقلد فرنسا فى طرقها الاستعمارية ، وتمكنت بعد ذلك من التغلب عليها ، والقضاء على نفوذها ؛ وحلت محلها . وتحولت « شركة الهند الشرقية » إلى جيش استعمارى قوى يستخدم كل الوسائل ، حتى المجافية لقواعد الأخلاق والعدالة ، لكى يستغل الشعوب الهندية . وجاءت نتائج الانقلاب الصناعى فسلحت الاستعمار بسلاح جديد ماض بتار ، أخذت انجلترا تستعمله بلا هوادة وبدون شفقة أو رحمة .

وبذا بدأ عهد استعمارها بحق ؛ وأخذت تلك الدولة ، التى كانت فقيرة محصورة فى جزيرتها ، تملك امبراطورية شاسعة الأطراف ، كانت سبب رخائها وأساس قوتها . وهنا فى القارة الهندية احتكت انجلترا لأول مرة ببعض الشعوب الإسلامية ، فى إقليمى البنغال والبنجاب (اللذين سيكونان فى المستقبل الباكستان الشرقية والغربية) وهكذا أخذت تتسلل إلى العالم الإسلامى من الباب الخلفى ، وتثبت أقدامها فى تلك النقط الضعيفة البعيدة . ثم تطورت علاقاتها بعد ذلك مع الهند ، وأخذت تفكر أيضاً فى علاقات جديدة مع دول الشرق الأوسط الواقعة على الطريق إلى الهند وكانت تؤلف الأجزاء الهامة للدولة العلية . وهى القلب النابض للعالم الإسلامى . ومن ثم بدأ الدور الخطير للاستعمار ؛ وهو ما سنفصل أمره فى المقال التالى . ثم نتكلم على مصيره إن شاء الله .

فليسمع زعماؤنا . . . .

عن أبى موسى قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحدهما : يارسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ؛ فقال : « إنا والله لا نولى هذا العمل أحدا يسأله أو أحدا حرص عليه » .

« نيل الأوطار »

نظرات في التربية

للأستاذ عبد العزيز عطية

المراقب المساعد بمنطقة دمنهور التعليمية

السـعادة

هى شعور النفس بالطمأنينة والراحة والسرور عند مزاولة العمل وبعد تمامه وتحصيل نتائجه ، وقد تكون السعادة هى اللذة والخلو من الألم — الألم النفسى والألم الجسمى — ويقول أرسطو فى كتاب الأخلاق : إن السعادة هى الخير ، ويعرف الخير بأنه هو موضوع جميع الآمال . ولا شك أن الآمال التى يسعى الإنسان لتحقيقها يسعد إذا حصل عليها ، ويسر بنيلها ، وترتاح نفسه ويطمئن فؤاده بها . نسمع كثيراً مايقوله الناس : إن فلاناً سعد بزوجة صالحة أو بربح كثير فى تجارته أو بمحصول عظيم من ضيعته أو بنجاح أبنائه وتقلدهم مناصب حسنة أو بأكل شهى ولباس جميل أو بقضاء فترة طيبة فى الراحة والنزهة واللعب . وقد يقال : إن أمة سعيدة بحكامها ونوابها وقوانينها لأنهم يوفرون السعادة والخير لها . كما يقال : إن أسرة ما سعيدة بما توافر لها من أبوين كريمين وأبناء وبنات صالحين وعيش رغيد وصحة تامة .

والناس يطلقون السعادة على ما به تحصيل اللذة والسرور فترة من الزمن ، وهو إطلاق غير صحيح كما رأينا فى معظم الأمثلة السابقة ؛ إذ يخلطون بين اللذات العاجلة والسعادة التى من شأنها أن تكون طويلة المدى . ومطالب الإنسان المادية والحسية هى التى تحصل اللذة بتحصيلها ، ولا تسمى هذه اللذة سعادة ؛ إنما السعادة أن تسعى فى الخير سعياً متصلا يشق به جسمك وتفارقك راحتك، ولكنك تنتظر منه أملا كبيراً يسر به قلبك ، ويطمئن إليه فؤادك ، وينشرح به صدرك ، وتحتسبه فى عداد محامدك ومآثرك ، وتنتظر عليه الثواب من الله ، وقد يحمدك الناس له ويذكرونه لك . ولكن قصاراك أن ينتفع الناس بما أتيت ، سواء ذكروه لك أو لم يذكروا ، فإنك لا تمن به بل تفعله من تلقاء نفسك وكفاك أنك فعلت المحمدة لذات الخير . وهذه السعادة قد يشعر بها الإنسان زمناً طويلا وهى تتجدد بتجدد أعمال الخير ، وقد يدوم بها السرور طول الحياة . فالطبيب الذى يعمل دائماً فى علاج أبناء وطنه ولو بالأجر الكثير تراه يسعد بما يحصل

عليه من نتائج حميدة فى استئصال علة مزمنة أو إنقاذ من يشرف على الهلاك بعلة قاتلة ومرض فتاك ، وقد تتجدد سعادته كما كشف بتجاريبه علاجاً ناجعاً لمرض حير الأطباء .
والمرشد الواعظ يسعد بما يرى من انتشال طائفة من الناس من الشقاوة إلى السعادة ، ومن ظلمات الشر إلى نور البر بوعظه وهدايته لأنه زكاهم وطهرهم ووصلهم بالإنسانية الكريمة واستنقذهم من الضلال .

والقاضى الذى يشقى ويجهد لتوزيع العدالة بين الناس ، واستخلاص الحقوق لأصحابها من الظلمة والطغاة ، والذى لا يميز فى قضائه بين ذوى الجاه وعامة الشعب ، وبين الثراة وذوى المتربة ، وبين الخاصة والطغام إذا مثلوا أمامه فسوى بينهم فى وجهه ومجلسه وأعطى كل ذى حق حقه . هذا القاضى وأضرابه على ما يجدون من عناء يبيتون على راحة البال وهدوء الضمير ، وهم دائماً حاذرون أن يميلوا أو يضلوا أو يحابوا أو يتبعوا هوى . وتلك سعادتهم التى تلازمهم .

والقائد الذى يطوى نهاره وصدر ليله فى رسم الخطط ويتنقل بين جنده ويشحذ العزائم ويجدد القوى ويتعرف مصادر الخطر وموارده ويغرى بالعدو وبالنصر إنه — بالرغم مما هو فيه من عناء وكد وما عليه من تبعات وأعباء — سعيد بما امتلأ به قلبه من قيام بواجب الدفاع عن فكرة وطنية أو أمة مظلومة أو حدود موطوءة أو وطن مغلوب أو دفع عدو باغ لأنه يحقق الخير لأمته ويدفع عنها كيداً .

ويرى مكدوجل أنه لا بد من التفريق بين اللذة Pleasure والسرور Joy والسعادة Happiness ويرى أن هذه مراحل تصاعدية لما يحسه الإنسان من معنى السعادة أو اللذة ؛ فاللذائذ تكون فى المأكل والمشرب والملبس والمركب والمسكن ، وهى تهون دائماً ولا تبقى إلا يسيراً ، وقد يفقد الإنسان اللذة بها بالتكرار والمزاولة الدائمة كالذى يأكل المآكل الشهية والألوان الكثيرة فإنه يفقد اللذة بها بعد تكرارها. وكذلك الحال فى المراكب والمساكن والملابس . أما السرور فقد يكون أطول عمراً من اللذة كالسرور بنجاح الأبناء أو شفاء المريض أو لقاء الصديق . أما السعادة فهى أجل من ذلك وأقوم ، وقد تستمر طول الحياة ، لأنها مرتبطة بما يحققه الإنسان من أغراض الخير للبشرية أو الجماعة . وكلما كانت شخصية المرء متكاملة كانت سعادته أدوم وأبقى وأعلى منزلة ، ولذا تراه يقول : إن السعادة فى تكامل الشخصية . ومكدوجل يتفق مع أرسطو وغيره فى كثير من مواضع هذا الرأى . ويقول الدكتور القوصى فى كتابه « أسس الصحة النفسية » : ولكن السعيد حقا هو ذو الشخصية القوية

الذى يعمل دائما على تحقيق غرض سام خاص ، والذى لا تتعارض حاجياته مع صالح الإنسانية ، وربما كان أقرب الأمثال لذلك الأنبياء الذين لم يسعدهم المأكل والملبس أو يشقهم الجوع والطرد والإهانة ، ولم يسعدهم كثرة الأولاد ، ولم يشقهم فقدهم ؛ وإنما كان يسعدهم أمر واحد هو الجهاد والسعى لتحقيق الفكرة السامية .

إذن فقد اتفق أهل الرأى على أن السعادة الحقة ليست إلا الخير والفضائل التى بها تحيا الإنسانية حياة طيبة شريفة ، ويشعر بها الفرد شعوراً متصلا ، وتحسها الجماعة إحساساً عميقا يسير معها فى الحياة . والسعادة ثمرة الفضائل التى يتحلى بها الفرد والجماعة.

وكثير من الناس يعنون بتحصيل السعادة لأنفسهم قبل كل شىء ، فيقبلون عليها يستكملون فضائلها ويهذبونها ويوجهونها الوجهة الصالحة ، ويجعلون الإصلاح الفردى الشخصى أساس الخير ، وقد لا يتعدون دائرة الأسرة . وقد يكون ذلك نتيجة الأثرة الإنسانية التى غرست فى البشر ، وقد يكون ضنا من الفرد بكرامته أن تهدر وبهدوئه أن يثار وبراحته أن تتبدد ، إذا ما عرض للناس يزكيهم ويرشدهم ويدعوهم إلى الخير ويقف فى طريق الشر وأهل البغى ، وقد يعتمدون فى ذلك على قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم منْ ضلّ إذا اهتديتم » دون أن يتقيدوا فى ذلك بقول الرسول الأمين صلوات الله عليه فى بعض حديث أبى ثعلبة : « لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعوانا » ولا غرابة فيما ذهب إليه هؤلاء فإنه مذهب قديم لأحد فلاسفة اليونان أبيقور Epieurus وتبعه فيه كثيرون واستمر مئات السنين ، غير أن كثيراً من الناس اتهم هذا الفيلسوف بالنفعية المادية والإباحية الخاصة ، ولكنه كان على غير ذلك . وأعتقد أن قعود الكثيرين من أهل الخلق فى هذا الزمان ينهجون هذا النهج ، فيكتفون بإصلاح ذاتهم ولا يتعدون ذلك إلى المجتمع، ولا يكلفون أنفسهم عناء الجهاد فى دفع الشرور عن الأمة ويؤثرون العافية ولا ينكرون على المجرمين جرائمهم ، ولا يحضونهم على الخير مكتفين بأضعف الإيمان ، إذ يقولون : لقد فسد الزمان واستشرى الشر وأعضل الداء وانصرف الناس عن المواعظ ، وقد لا نجد على الخير أعوانا اتباعا لهذا الرأى ، وقد يجدون السعادة إذا قرنوا أعمالهم بأعمال غيرهم ممن انغمسوا فى الرذيلة من تدليس وغش ونهب وملق ورياء وانتفاع بالجاه الكاذب والكبر الخسيس وبذل المال فى طريق الشر . نعم إن بين هؤلاء وبينهم بونا شاسعا ، ولكنى أقول لهم : إنهم مع ذلك لم يحققوا السعادة لأنفسهم لأن الأشرار سيطغون على خيرات الأمة ويستلبون أرزاقها وينكلون بالصالحين



منها ويرفعون الخسيس ويضعون الكريم ويشيعون الفحشاء بين الناس، وبذلك يجعلون الحياة جحيما يتدرج فى شدته وقسوته من طبقة إلى طبقة حتى يعم الناس كافة . فأين إذن تكون السعادة والناس يتقلبون فى البأساء والضراء ؟! لهذا كان مذهب السعادة العامة الذى يتكافل فيه الشعب هو الذى يجب أن يسود الإصلاح الخلقى . والرسول الكريم صلوات الله عليه يقول : « وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما » والله يقول فى الإيثار : « ويطعمون الطعامَ على حبّه مِسكيناً ويتيما وأسيراً » . ويقول : « والذين تبوّءوا الدارَ والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدُورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرُون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . على هذه المبادئ السامية عاش المسلمون الصالحون ، وهى المبادىء التى نريد أن نربى عليها الجيل الجديد من أبناء المسلمين ليتم التضامن والتكافل بينهم فيعيشوا معا على محبة خالصة ومحجة واضحة لا متحاسدين ولا متباغضين ولا متناكرين .



يجب أن يتعلم التلميذ فى المدرسة وفى المنزل أن لذة الطعام والشراب واللباس وجمال المسكن والمركب ورفاهة العيش والتقلب فى أعطاف النعمة لايكون بها المرء سعيداً، وأن تحقيقها له وحده دون غيره ليس هو السعادة ، وأن أترابه وإخوته وإخوانه لابد أن ينالوا كما ينال، وأن إيثار المحتاج بالفضل من نعمته واجب عليه وأن آلام الغير تؤلمه وتؤذيه ، وأنه يتساوى مع زملائه فى المدرسة وإخوته فى المنزل حتى يحس السعادة الحقة . كما يجب على الأبوين فى المنزل والمعلمين فى المدرسة أن يسووا بين الأبناء فى المعاملة حتى لايثيروا فيهم نزعات الاستئثار وحب الاستيلاء ، وحتى لايزرعوا العداوة والبغضاء والحسد بينهم وأن يرتبوا الثواب والعقاب على الخير والشر ليعلموهم العدالة فى الجزاء . كما يجب عليهم ألا يدللوا الأطفال ولايتركوا لهم الحبل على الغارب يفعلون مايشاءون وينالون كل مايطلبون، وأن يخلطوا فى معيشتهم بين الخشونة والنعومة القليلة سواء فى المأكل والملبس والنوم لأن حاجات النفس لاتنقضى ، والإنسان الذى يحقق رغبة يتطلع إلى غيرها .

والنفس راغبــة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليــل تقنع

يجب أن يتعلم الأبناء أن السعادة ليست فى قضاء مآربهم، وإنما فى تحقيق الخير للوطن وأهله، وأن الذين يوجهون كل جهودهم إلى تحصيل لذائذهم ليسوا هم السعداء وإنما سعادتهم الموهومة لذات فانية وأعمال باطلة . يجب أن يحمل الأبناء على الأعمال التى يحسون فيها ألما ومرارة وتكون النتائج المرجوة فيها حميدة ليتعودوا تحمل المشاق

وركوب الأخطار والصبر على المكروه لأن الدنيا ليست نعمة مقيمة ولا راحة دائمة ولأن الذى لايزرع لايحصد ، والذى لا يكد ولا يتعب لايجد الثمرات النافعة ولا النتائج الجيدة . يجب أن يتعلم الأبناء والبنات أن فى الحياة قسوة لابد أن يلاقوها ومرارة لابد أن يذوقوها وغصصا لابد أن يتجرعوها، وأن أمامهم عقداً عليهم أن يحلوها وعقبات عليهم أن يذللوها، وأن يتعلموا أن لاتواكل ولا اتكال ، وأن يشاركوا فى جميع الأعمال سواء فى المنزل والمدرسة وأن يمارسوا ذلك فعلا فى دروس الكشف والألعاب وفى الرحلات وجميع أمور النشاط المدرسى ليتعودوا حمل الأعباء والاهتمام بجميع الأمور. والوالدون والوالدات والمعلمون والمعلمات مسئولون عن ذلك كله لأن تعويد الحدث فى سن الحداثة مزاولة هذه الأعمال يعودهم مزاولتها فى كبرهم فلا يترفعون ، ولايستنكفون وفى الحياة تقلبات، ونعمتها لاتدوم والرسول يقول : (اخشوشنوا فإن النعمة لاتدوم) .



إن الفرص التى يجدها المعلمون والمعلمات فى المدرسة لإنماء شخصية البنين والبنات وحراستهم فى تصرفاتهم لاسيما فى عهد المراهقة وإفساح مجال الفضيلة وتنحيتهم عن مزاولة الرذائل مع التوجيه الدائم للخير والصلاح يجب أن تهتبل فى حينها ، وهى لاتتاح للآباء والأمهات لاسيما فى بلادنا ، ولهذا كان العبء الملقى على المدرسة ثقيلا وكان لابد لهذا العبء من أبطال يحملونه بمهارة وأمانة وتجربة ودراية ، أما أن يدعى لهذا العمل من لايحسنونه ولايستطيعون الاضطلاع به فشأن النتائج المحتومة فيه شأن النتائج التى يصطدم بها مريض استوصف لدائه غير طبيب، أومتنازعان تحاكما إلى غير قاض . أو بان لمنزل التمس لبنائه حدادا أو نجارا ، وإلا فلماذا لا يقيس الناس عمل غير المعلم المربى فى الأبناء بعمل هؤلاء الذين لادراية لهم بفن غيرهم ؟ ألأن الضرر السريع لايلحق بالأبناء كما يلحق صاحب المنزل الذى لايلبث أن يتهدم من منزله الجزء الذى يبنيه له النجار أو الحداد أو صانع الفطير ؟ أو أن فعل العقاقير السامة أو التى تزيد المرض التى يصفها غير الطبيب للمريض قد تقضى عليه فى الحال فتبدوا النتائج محزنة ظاهرة ؟

ألا يعلم الناس أن أثر هؤلاء المعلمين غير الفنيين فى عقول الأبناء وأخلاقهم كأثر العقاقير غير الملائمة للمرض فى المريض ؟ ألا يكفيهم ما وصل إليه الحال فى المدارس من الجهل والفوضى مما يزيد على الزمن بلاء وضرراً ؟ ألأن اللسان الذى يشكو به المجتمع والأنين الصارخ الذى يحزن القلب ويؤلم النفس لا يجد الآذان التى تعيه والعقول التى تصدق فى ترجمته وتوضيحه للشعب وتبين أسبابه وتبعاته ؟ إنها مداهنة السياسة وتملق الأحزاب والطفرة وأخذ الأمر بدون عدة . والغرم على الأمة وحدها .

نعود فنقول ما الذى يحقق السعادة للفرد والمجتمع ؟ .

إن الذى يحقق هذه السعادة هو التربية الصالحة فى ظل القوانين الصالحة والحكام الصالحين ، فإذا فرضنا أن بالدولة مربين صالحين ومرشدين هادين يؤدون واجبهم فى المدرسة والمسجد والمجتمع وقاموا بما يزكى النفوس ويصلح العقول ، ثم يخرج التلاميذ من بين يدى المعلم والمستمعون من بين يدى الواعظ والمستمعون للخطيب بالمسجد يخرجون إلى الشارع فيجدون الفضيلة المذبوحة والقوانين السقيمة والسيئات الغاشية والغش والخداع والضلال والمحتالين فماذا يجديهم تعليم المعلم وعظة الناصح ؟ الحق أن القوانين الصالحة هى التى تحمى التعاليم الصحيحة حتى تستقر فى نفوس الناس وتصطبغ بها حياتهم . ولكن كل ذلك يحتاج أيضاً إلى حاكم صالح نزيه مؤمن بهذه القوانين منفذ لها . وحينئذ يخلو للفضيلة الجو الصالح وتهيأ لها الحياة فتثمر ثمرها وتؤتى خيرها .

والحق أن الحكومة والأمة متضامنون فى تحقيق السعادة للشعوب وأن الأمم جميعاً والحكومات جميعاً متضامنون فى تحقيق السعادة للعالم . ولهذا كان الإسلام ديناً عالميـــاً ينتظم الناس جميعاً بقوانينه الصالحة ونظامه الشامل ليوحد كلمتهم ويحقق الخير لهم .

وفى البلاد ذات النظام النيابى التى يتولى البرلمان تشريع القوانين فيها تقع تبعة السعادة الفردية والشعبية على عاتق البرلمان والحكومة المختارة منه إذ هى المسئولة عن نزاهة الحكم وحسن التنظيم وإنفاذ التشريع واقتراح القوانين الصالحة .

والشعوب تضع ثقتها فى وكلائها الذين أنابتهم عنها ، والنواب يختارون الوزراء من بينهم ويراقبون أعمالهم ويسددونهم عند الانحراف ويسقطونهم إذا أخطأوا وأصروا على الخطأ ، فخير الحكم من الشعب وإليه ، وشره كذلك . ولهذا كان لابد للشعب من رأى عام بصير يوجه سياسة الحكم فيحسن اختيار نوابه وهم يحسنون اختيار الوزراء . ولايتأتى ذلك إلا بالتربية الفردية على يد المعلمين فى المدرسة والجامعة والتربية الجماعية على يد المرشدين والهداة فى الجماعات والمساجد وفى مجالس الوعظ وفى المناسبات السياسية والدينية .

والقوانين الصالحة تقاس صلاحيتها بما تحققه من الخير والسعادة للناس . ويوزن ذلك الخير بميزان الفضائل الخالصة التى تهدى إليها العقول السليمة والكتب السماوية . أما أن يكون القانون محققا لبعض الخير ثم يكون له من الآثار فى هدم الخلق والدين

مابه يهد جوانبهما فذلك مالاسبيل إلى قبوله واحترامه ، كما ترى مثلا فى قانون إجازة المراهنات التى يقطع الشرع بتحريمها فإن كسبها يحقق بعض الخير فى المبرات ولكنه كسب حرام ورجس أثيم، وهكذا ترى من القوانين مالم يراع فيه جانب الفضيلة وإنما يراعى فيه الربح المادى فقط ، وذلك أمر شنيع ومحنة قاسية . هذه القوانين لاتحقق السعادة للأمة وللأفراد وهى لذلك لاتستحق الاعتبار والاحترام بل تستحق الإغفال والعصيان . كذلك الحكام الذين يديرون أمور البلاد ويقومون على تنفيذ قوانينها إن لم يكونوا مخلصين فى التنفيذ يسوون بين الناس فى المنافع ويسوون بينهم فى الجزاء فإنهم لايحققون السعادة للأمة كالحاكم الذى يفضل قريبه أو الذى من حزبه أو الموصى به على صاحب الحق أو يمهد له للافلات من العقوبة والاستيلاء على ماليس من حقه أو أكثر من حقه كما هو الحال فى توزيع أراضى مصلحة الأملاك على أفراد حزب بعينه أو تمكينهم من الخديعة التى يستولون بها على ماليس من حقهم ، وكما هو الحال فيمن ينتهزون الفرص من الوزراء فيحولون مشروعات الرى والصرف وإنشاء الطرق والجسور على الترع أوعلى النيل لصالحهم الخاص أو لصالح قوم من حزبهم . هؤلاء الحكام يستحقون غضب الله والشعب ويحققون الشقاء للأمة ويزرعون الحقد والبغضاء بينهم بسبب الجور والظلم وهدم صرح العدالة .



إن هؤلاء جميعاً لايصلح بهم حكم ولايرقى بهم وطن ولاينتظم بعملهم أمر الدولة إنما هم نفعيون انتهازيون يجب أن يؤدبهم الشعب بإبعادهم عن مناصب الحكم واحتقارهم فى غدوهم ورواحهم .

وإذن فواجب الحكومة أن تكون ميزانا صادقا فى توزيع الحقوق والواجبات « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » وبذلك تتوفر السعادة للأمة جميعاً ويؤدى كل واجبه لأمته فإن كل راع مسئول عن رعيته « ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

مع العارفين

سلمة بن دينار

قليل من الناس من يعرف أبا حازم الأعرج سلمة بن دينار ! وأكثر هؤلاء لايكاد يعرفه إلا راوياً للحديث عن سهل بن سعد وأنس بن مالك وابن عمر وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وطلحة بن عبيد الله وعطاء بن أبي رباح وآخرين . . . أما سلمة بن دينار ، المؤمن المشمر إلى ربه ، وصاحب القلب المشرق بالنور ، والقدوة الصالحة للسالكين . . . فذلك أمر أغفلته أكثر « كتب العلم » أو لم تتسع له ، وإن وسعته عين الله الذى يعلم السر والنجوى ، ووعته موازين السماء التى تحكم السر وأخفى . . .

كان سلمة يعيش فى معانى الآخرة يومه وليله . . ، وكان يأخذ بها نفسه أخذاً أليماً شديداً . . . فهو الذى يقول : لو نادى مناد من السماء بأمن أهل الأرض من دخول النار ، لحق عليهم الوجل من حضور ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم ! . . وهو الذى يحدث نفسه فى خلوته يحاسبها فيقول : «يا أعرج ، ينادى يوم القيامة : يا أهل خطيئة كذا وكذا ، فتقوم معهم ، ثم ينادى ياأهل خطيئة أخرى فتقوم معهم ، فأراك ياأعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة ! » — ويمسك بلجامها بمثل قوله يخاطبها : « اعلم أنك إذا مت لم ترفع الأسواق بموتك ، إن شأنك صغير فاعرف نفسك . . . » وروى جرير أن سلمة كان يمر على الفاكهة فى السوق فيشتهيها فيقول : موعدك الجنة !

***

كان رحمه الله ذكى العاطفة مرهف الوجدان . . . لا يرى مع الله شيئاً غيره . . . ولايحجب بصيرته المتلألئة عن وجه الله حجاب . . يقول : « إن الشيطان إذا استمكن من قلب امرئ لم يبال ما صنع ولو صلى حتى يسقط لحم وجهه ! . .» — يقول سعيد ابن عبد الرحمن : سمعت أباحازم يقول : « إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها ،

وما خلق الله من سيئة أضر له منها . وإن العبد ليعمل السيئة حتى تسوءه حين يعملها ؛ وما خلق الله من حسنة أنفع له منها . وذلك أن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها فيتجبر فيها ، ويرى أن له بها فضلا على غيره ، ولعل الله تعالى أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيراً . وإن العبد حين يعمل السيئة تسوءه حين يعملها ، ولعل الله تعالى يحدث له بها وجلا يلقى الله تعالى وإن خوفها لفى جوفه باق » ؛ وسمعه سفيان بن عيينة يقول : « إنى لأستحيي من ربى عز وجل أن أسأله شيئاً فأكون كالأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة ، ولكنى أعمل تعظيما له . . . » . كان سلمة فى يقظة دائمة يحيا بها مع الله على حد السيف ، ويرى ذلك مقتضى الإيمان فى المؤمن ؛ ومن وصاياه : « ينبغى للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه » . .

* * *

وإنك ليدهشك وأنت تطالع هذا الجمال فى قلبه الكبير ، أن تراه لا ينطوى عليه انطواء المنقطع عن الناس فى صومعة ، بل تراه قوياً به على كل منكر ، جريئاً به فى الحق لا يخشى لومة لائم . . . يقول ابن أبى كثير : دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجاً فقال : هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة ؟ قالوا : نعم ! أبو حازم . فأرسل إليه ، فلما أتاه قال : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال : والله ما عرفتنى قبل هذا ولا أنا رأيتك فأى جفاء رأيت منى ؟ فالتفت سليمان إلى الزهرى قائلا : أصاب الشيخ وأخطأت أنا . يا أبا حازم : ما لنا نكره الموت ؟ فقال : عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب . قال : صدقت . فقال يا أبا حازم : ليت شعرى ما لنا عند الله تعالى غداً ؟ قال : اعرض عملك على كتاب الله عز وجل . قال : وأين أجده من كتاب الله تعالى ؟ قال : قال الله تعالى : « إنّ الأبرارَ لفى نعيم وإن الفجارَ لفى جحيم » . قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من المحسنين . قال سليمان : ليت شعرى كيف العرض على الله غداً ؟ قال أبو حازم : أما المحسن كالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء كالآبق يُقدم به على مولاه . فبكى سليمان واشتد بكاؤه ، ثم قال : يا أبا حازم : كيف لنا أن نصلح ؟ قال : تدعون عنكم الصلف وتتمسكون بالمروءة وتعدلون . قال : يا أبا حازم وكيف المأخذ من ذلك ؟ قال : تأخذه بحقه وتضعه بحقه فى أهله . قال : فما أعدل العدل ؟ قال كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه . قال : فما أفضل الصدقة ؟ قال : جهد المقل إلى يد البائس الفقير لا يتبعها منّ

ولا أذى . قال فما أسرع الدعاء إجابة ؟ قال : دعاء المحسن للمحسنين . قال : يا أباحازم من أكيس الناس ؟ قال : رجل ظفر بطاعة الله تعالى . فعمل بها ثم دله الناس عليها . قال : يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : كلا ! قال : ولم ؟ قال : إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلا ، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا يكون لي منه نصير . قال : ياأبا حازم ، ارفع إلى حاجتك . قال : نعم ! تدخلني الجنة وتخرجني من النار . قال : ليس ذلك إليّ . قال فما لي حاجة سواها . قال : يا أبا حازم ، فادع الله لي . قال : نعم ! « اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى ! » قال يا أبا حازم : أوصني . قال : نعم ! سوف أوصيك وأوجز : نزه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ! ثم قام فقال سليمان : يا أبا حازم ، هذه مائة دينار ، أنفقها ولك عندي أمثالها كثير . فرمى بها وقال : والله ما أرضاها لك ، فكيف أرضاها لنفسي ؟ إني أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلا ، وردي عليك بذلا !! إن كانت هذه المائة دينار عوضاً عما حدثتك ، فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل منه . وإن كانت من مال المسلمين فلا حاجة لي فيها . إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم ، فلما نكسوا وسقطوا من عين الله تعالى وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم في دنياهم . . . »

ألست ترى في كلمات سلمة مصداق ما قاله زيد بن أسلم عنه : ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم . . ؟

* * *

وإنك لتقرأ مع ذلك ما حفظه الرواة من آثاره ، فتعجب له كيف كان يتكلم ! وتأنس إلى نور من النبوة يتردد في صدره ؟ فهو به على قدم نبيه الذي أوتي جوامع الكلم ! يروي ابن عيينة أن سلمة دخل على أمير المدينة ، فقال له : تكلم . فقال : « انظر الناس ببابك : إن أدنيت أهل الخير ، ذهب أهل الشر ، وإن أدنيت أهل الشر ، ذهب أهل الخير » .

ويذكر يعقوب بن عبد الرحمن أنه قال : « شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة ، ولا أطيل عليك . قيل : وما هما ؟ قال : تحمل ما تكره

إذا أحبه الله ، وتكره ما تحب إذا كرهه الله عز وجل » .

ومن كلامه : « رضى الناس بالحديث وتركوا العمل » و « ما مضى من الدنيا لحلم ، وما بقى فأمانى » و « أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه ، وأرجاه لكل مسلم » .

ويقول عن إبليس : « وما إبليس ؟ والله لقد عصى فما ضر ، ولقد أطيع فما نفع ! »

* * *

هذا هو « سلمة بن دينار » فى آفاقه العالية ، وما أعجب أن تراه وهو محلق فيها ، قريباً من ذوى الهمم الكليلة ، يؤدبهم بمثل قوله : « قد رضيت من أحدكم أن يُبقى على دينه كما يبقى على نعليه !! » .

وأعجب منه أن تسمعه يقول : « إنى لأعظ وما أرى للموعظة موضعاً ، وما أريد بذلك إلا نفسى ! » .

* * *



ســـــنة

الدين الإسلامى هو السنة التى وضعها الله للناس كما وضع السنن الكونية الأخرى للشمس والقمر والحيوان والنبات وكل ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما .

حسن الهضيبى

في طريق البشرية

الـذّل ...

هُناكَ ! ! هُناكَ وراء السِّنينْ .. وفى زَحْمَةٍ من خُطا العابِرِينْ
وَقفتُ عَلَى قُرْبِ هُـذبٍ يَتيمٍ تَوارَى من الخِزْيِ تحتَ الجَبينْ
إذا هفَّ أبصرتَ طيراً يَنوحُ وَجُـرْحاً يبُوحُ بشيء دَفينْ
وإنْ مالَ مالتْ جميـعُ الرَّزايا وَحطَّتْ عليـه برُزْءٍ مَهينْ
حسبتُ الخطيئـةَ فى طَرْفه مُلَثَّمـةَ العـارِ تُخْفى الأنينْ
مُلَعثمـةً لا تطيقُ الـكلامَ وَإنْ كلَّمتْ غمغَمتْ بالرَّنينْ ..
وَخِلتُ عَلَى لحظِه راحـةً ممـدَّدةَ الـكفِّ للسَّـائرِينْ
عَلَيْها سُـؤالٌ .. قديمُ السُّؤالِ تسـوَّلَ إغفاءَةَ السَّامعينْ
وَمرَّتْ عليـهِ جياعُ العصُور وَما زالَ يَبْسطُ تلكَ اليَمينْ ..
وَأبصرتُ فى عَيْـنِهِ ضارعاً على خَـدِّه لَطْمَـةُ الظَّالمينْ
وَتأويهَةً مِنْ بقايا ضُلُوعٍ تُحدِّثُنى عن بَقايا سَـفِينْ
هَـوَى وتحطَّمَ مَلَّاحُـهُ وضَاعتْ به سيرةُ الغارقينْ
وضاعَ به الموجُ تحتَ الرِّياحِ وتحت الدجى المستَبدِّ اللَّعين ..
وفى وَجْهه من لِطَام الأكُفِّ أخاديدُ من صَفْعة الضَّارِبينْ
تُزَمجرُ فيها سُـيُول الهوانِ وَتَهدِرُ بالهـلَع المُسْتَكينْ
وَأوكارُ بُومٍ طويلِ النَّعيبِ يُهـاتِي وَيَصْرُخ للتَّاعِسـينْ

وَشوكٌ ، وَهُلكٌ ، وَمثوَى قُبورٍ وَمأْوَى دُهُورٍ من الْهالِكين

وَظَهرٌ تحَنَّى ، وَسَوطٌ تَدَنَّى لِيَـرْكَعَ مِنْ لُجَّةِ الرَّاكِعين

وَنَفسٌ يعفُّ ذُبابُ الفناءِ عَلى آدمِيٍّ لَدَيْها سَجين ..

أخى ما دهاكَ .. فلم يَبقَ فيكَ لِباغٍ عَلَى الأَرضِ إلَّا ظنون

تلاشَيْتَ فى كل شيء تراهُ كأنك مِنْ دونه لَنْ تكُون

وَأمعنتَ حتى سبقْتَ القطيعَ إلَى حيث ينتظرُ الجازِرُون

***

حلفْتُ .. بِذُلِّكَ بين العِبادِ وَإغْماضِ طَرْفكَ للنَّاظرين !

أجِبْنى أأَنتَ الَّذى فى طعامى تسلَّلْتَ حتَّى خَاسَتَ البُطون ؟

أأَنتَ الَّذى قد نهبْتَ الثِّمارَ ولم تَدرِ حتَّى بكَتْها الغُصُون ؟

أفى قَاعِ بَطْنك زادٌ حرامٌ ؟ أحقٌّ بمائكَ للظَّامئين ؟

أأغضبْتَ ربَّكَ خلفَ الظَّلامِ وَأرضيْتهُ فى خِضَمِّ العيُونْ ؟

أكُنْت مع الظُّلْمِ ، أم ذُقْتَه وورَّثْتَهُ لشَقاء البنين ؟

وَصاحبْتَه وهو لحْنٌ رخيمٌ وأنتَ الصَّدَى وَالمَدَى والشُّجون !

طَعامُكَ يُعْطِيهِ مُعْطِى النِّمَال وَماؤُكَ يجْرِيهِ مُجْرِى العُيُون ،

ففيمَ ارْتضاخُكَ تحتَ الهوانِ ؟ وَتَقْواكَ للذُّلِّ طول القُرون ؟

ظللتَ أسائلهُ .. وَالقضاء عَلى رأسِهِ شاهدٌ لا يَمين

فَنكَّسَ أهدابَه للتُّراب كما كان مستغرقًا فى السُّكون

تَخلُوهُ يقتاتُ من ذُلِّهِ حصيدَ الرَّزايا .. وقوتَ الجُنون !!

للأستاذ السيد عمر بهاء الأميري

قم أحيِ في الشرق الرميمْ يا شاعر البعث العظيمْ
يا نظــرةً في الغيب وا ثقــةً برحمن رحيم
يا فكرةً مشبوبةً بالعشــق ، في قلب سليم
وبصــيرةً وهاجة الإد راك تنفـذ في الصميم
يا فطرة الصــدق الصُرا ح وقوةَ الحق القديم
وسجية الخــير القرا ح السلسل العذب العميم
يا مؤمناً « بالذات » إيمان الفــتى الثبت الحكيم
يا موقناً بخــلودها إيقـان ذي ثقـةٍ عليم
قم وجِّـه اللاهين بالذكرى إلى النهج القويم
صحح « ذَواتَهمُ » وأخرجهم من الليـل البهيم
روح الفرنج — وإن تولوا — في كيانهمُ مقيم
فارجم بأنفسهم مَكا مِنَ كل شيطان رجيم
واقدح بهم نار الوغى واحْرق بهم دنيا الهشيم
جرح العُلى من مدّعي الإصلاح وخّاذٌ أليم
والمجد ليس ينال بالدعوى وبالصوت الرخيم
عبء الرسالة ليس لهواً إنه عبء جسيم
القول دون الفعـل لا يهدى الصراط المستقيم

طوبى لهم...

لسماحة الأستاذ السيد عبد الله كنون
عالم طنجة

طُوبَى لَهُمْ ، طُوبَى لَهُمْ   مَا كَانَ أَصْلَحَ بَالَهُمْ !
قَوْمٌ عَلَى أَصْلِ التَّجَرُّدِ   قَدْ بَنَوْا أَحْوَالَهُمْ
نَبَذُوا الْهَوَى فَتَعَلَّمُوا   أَنْ يَنْبُذُوا أَوْحَالَهُمْ
وَتَخَفَّفُوا مِنْ ثِقْلِهِمْ   فَتَبَادَرُوا آمَالَهُمْ
لَمْ تُلْهِهِمْ دُنْيَا وَلَا   حِرْصٌ عَلَيْهَا غَالَهُمْ
لَمَّا رَأَوْهَا ، وَالْمُنَى   فِيهَا تَفُوتُ مَنَالَهُمْ
وَرَأَوْا لِمَحْتُومِ الْفَنَاءِ   مَآلَهَا وَمَآلَهُمْ
بَتُّوا قَطِيعَتَهَا وَقَا   مُوا يَخْطُبُونَ كَمَالَهُمْ
رَامُوا حَيَاةَ الْخَالِدِينَ   فَشَمَّرُوا أَذْيَالَهُمْ
وَجَرَوْا إِلَى غَايَاتِهِمْ   كَيْ يَسْبِقُوا آجَالَهُمْ
حَتَّى إِذَا خَتَمَ الْيَقِينُ   بِحَقِّهِ أَعْمَالَهُمْ
لَمْ يُوخَذُوا عَنْ غِرَّةٍ   أَوْ يَسْتَقِلُّوا مَالَهُمْ
فَهُمُ عَلَى سُرُرِ الْمَحَبَّةِ   قَدْ نَضَوْا أَسْمَالَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ بِمَا لَقُوهُ   وَيَغْنَمُونَ وِصَالَهُمْ
طُوبَى لَهُمْ ، طُوبَى لَهُمْ   مَا كَانَ أَصْلَحَ بَالَهُمْ

إخواننا في تركستان الشرقية

● تقع التركستان الشرقية في قلب قارة آسيا ، يحدها شمالا سيبريا وجنوباً كشمير والتبت ويحدها من الغرب التركستان الغربية وأفغانستان ، وشرقاً الصين وصحراء جوبي ومنغوليا ، وتبلغ مساحتها ١٨٢٤٤١٨ر١ كيلو متر مربع وسكانها نحو ثمانية ملايين من النفوس ، ولغتهم اللغة التركية ، ٩٥ ٪ منهم مسلمون والباقي أقليات صينية ومنغولية ومنشورية .

● الثروة المعدنية

المعدن	عدد المناجم	المعدن	عدد المناجم
الذهب	٢٥	رصاص	٣٢
الفضة	١٦	بترول	٢٤
الحديد	٤٦	فحم	٧٠
اليورانيوم	٢	كبريت	١٣
ولفرم	٢	زئبق	٢
		صوديوم	٣١

● استولى الروس على التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤ بعد معارك طاحنة مع القوات الوطنية ففتحت بذلك صفحة سوداء في تاريخ التركستان الشرقية بدأها الروس بزج رجال الحكومة الوطنية في السجون حيث أعدموا فيها وعلى رأسهم الحاج خوجة نياز رئيس الجمهورية ، ومولانا ثابت رئيس الوزراء وأعضاء وزارته كما أعدم الزعماء وحكام الأقاليم والأعيان وعلماء الدين وألوف من الأبرياء وأحرقت المدن ونهبت وأخذت نحو مائة سيارة نقل تنقل نفائس مدينة (ايلى) وتحفها التاريخية شهرين كاملين إلى روسيا .

● من الأساليب الجهنمية [1] التي أباد بها الروس مائة ألف من المعتقلين :

— وضع خوذة حديدية على الرأس وإمرار التيار الكهربائي فيها لاقتلاع العيون من محاجرها

— ربط الرأس في طرف آلة ميكانيكية وباقي الجسم في أخرى ثم تدار كل من الآلتين في اتجاهات مضادة .

— كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد محماة إلى درجة الاحرار .

— تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة .

— نتف كتل من شعر الرأس بعنف مما يسبب اقتلاع جزء من فروة الرأس .

— جعل المسجون هدفاً لرصاص الجنود يتمرنون عليه .

— إحراق المسجون بعد صب البترول عليه .

---

(١) لقد استعمل الانجليز بعض هذه الأساليب في عرب فلسطين أثناء الانتداب .

● اهتم الشيوعيون ببث سمومهم وأفكارهم فى النشىء الصغير وأخذوا يلقنونه المبادىء الشيوعية ، وحاربوا اللغة القومية والتاريخ القومى والآداب القومية ليقطعوا الطريق بين النشىء وماضيهم وليدمجوهم فى العنصر الروسى الى الأبد .

● أنشأ الروس مؤسسة بوليس سرى تسمى ال ج . ب ا و للقضاء على الحركات المعادية لهم

● أجبروا الفلاحين على ألا يزرعوا شيئاً سوى القطن لكى يغطوا حاجة روسيا منه ، وحرموا الأهالى من زراعة القمح وأخذوا يرسلون من القمح كميات ضئيلة وأنواعاً رديئة إلى التركستان مقابل ما يأخذونه من القطن حتى شحت موارد الطعام واكتسحت البلاد مجاعة مخيفة ذهب ضحيتها لغاية سنة ١٩٣٩ ستة ملايين من التركستانيين .

● حارب الروس الدين الإسلامى حرباً لا هوادة فيها فخربوا المساجد والمعاهد الدينية وحولوها إلى دور للهو واسطبلات للخيول وثكنات للجنود . وأحرقوا الكتب الدينية والتاريخية وألغوا الحروف العربية وأرغموا الناس على استعمال الحروف الروسية . وقسموا البلاد إلى عدة أقسام مع أن السكان جميعاً من جنس واحد ولهم لغة واحدة وعادات واحدة ، ومسخ الروس لغة أهل البلاد إلى خليط من الروسية والتركستانية حتى تعذر التفاهم بين سكان الولايات المختلفة .

● وما إن تنفس أهل التركستان الشرقية الصعداء بعد انسحاب الروس سنة ١٩٤٣ حتى بدأ الروس يضعون خطتهم الشيطانية لمعاودة الاستيلاء عليها ونفذوا خطتهم سنة ١٩٤٩ حين زحف أكثر من ٢٥٠٫٠٠٠ جندى من الصينيين الشيوعيين مجهزين بأحدث الأسلحة والعتاد للاستيلاء عليها . وكان الاحتلال فى هذه المرة مزدوجاً تآزر فيه الروس والصينيون الشيوعيون

● وجه الروس اهتماماً خاصاً إلى ولاية (ايلى) التى تتمتع بميزات كثيرة فهى غنية جداً بالمعادن المهمة كالحديد والفحم الحجرى كما أنها قريبة من التاى الغنية بمعادن اليورانيوم والولفرام وذات موقع منيع جداً بجبالها الشاهقة فضلا عن بعدها عن متناول القاذفات المعادية وقربها من روسيا ، وقد استغلت روسيا هذه الميزات فأنشأت فى هذه المقاطعة مصنعاً ذرياً .

● ويحتفظ الروس بقوات عسكرية هائلة فى التركستان الشرقية تتجاوز المائة ألف جندى . وقد بدأ الروس فى إنشاء مصانع أخرى للأسلحة الثقيلة والخفيفة ، كما أنهم قد بدأوا فى إنشاء مدينة صناعية مهمة . وأنشأوا فى المدة بين عام ١٩٣٣ ، ١٩٤٣ ١٣ مطاراً .

● للتركستانيين مطالب تتلخص فى :

١ — تبنى جامعة الدول العربية لقضيتهم وعرضها على مجلس الأمن .

٢ — مساعدة اللاجئين التركستانيين فى مختلف البلاد الإسلامية . وتسهيل السبل لتعليم أولادهم

٣ — احتجاج الدول الإسلامية على روسيا والصين الشيوعية ومطالبتهم بالانسحاب من التركستان .

فى أفق العالم الإسلامى

القدس بين التدويل والتهويد ...

بيت المقدس فى خطر ! ! !

لسنا ندرى متى تزول هذه البلاهه التى أصابت المسلمين ! إنهم لا يستيقظون — والنذر تتوالى بين أيديهم — حتى تقع الواقعة ! إننا قد نعذرهم حين لا يبصرون فى الظلام ولكن كيف نعذرهم بعد أن تطلع الشمس ويستبين وجه النهار ؟

لم يمض على معركة فلسطين إلا ثلاث سنين أو دون ذلك ، أعنى المعركة الهزيلة التى انتهت بمؤامرة الهدنة الأولى ثم الثانية . . . وهى — على هزلها — كانت مسرحا تكشفت فيه فضائح مخزية ، وأسفر فيه اليهود عن حقيقتهم الغادرة ذات المخالب والأنياب ، ورأينا رأى العين حقائق المصطلحات الكاذبة : « مجلس الأمن » و « الدول الكبرى » و « الضمير العالمى » ، وقرأنا بأحرف بارزة من ضحايا عزيزة وخسائر فادحة وآمال خائبه تفسير قول الله عز وجل « لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء : بعضهم أولياء بعض » ، لم يمض على كل ذلك إلا ثلاث سنين فما بال المسلمين كأنهم قد نسوا كل شىء كان ! وما بالهم لا يزال ساستهم لا يجيدون إلا التسول فى ردهات هيئة الأمم وفى مكاتب السفراء والمفوضين ، وإلا الاحتجاج ، ثم الاحتجاج بشدة ، ثم الاحتجاج شديد اللهجة جدا ، ثم . . . لا ثم بعد هذا إلا الميوعة والتغرير وضياع الوقت والكرامة والبقية الباقية من فلسطين ! !

لقد عدنا نسمع ونقرأ أن ساسة العرب يطرقون باب أمريكا لتنذر إسرائيل وتمنعها من جعل القدس عاصمة لها . . . وأن وزارة الخارجية الأمريكية طلبت من إسرائيل ألا تنقل إدارات أخرى — غير وزارة الخارجية التى تقرر نقلها — إلى القدس وألا تطلب من الممثلين السياسيين نقل بعثاتها إليها ريثما تنعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة . وبينما ساسة العرب يرجون أمريكا ، وبينما أمريكا ترجو إسرائيل « هذا الرجاء الرقيق » . . . نرى إسرائيل ماضية فى تحقيق ما ترجوه « هى » . . . والذى ترجوه — علم ساستنا الأذكياء أو لم يعلموا — هو تحقيق حلمها الدينى العتيق : هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودى مكانه . واستخراج التوراة المدفونة تحته كما يزعمون . . . . ؛ فليس رجاء أمريكا بالذى يجد مكانا فى عقلية إسرائيل وعقيدتها . . . إن الحركة الصهيونية التى كافحت فى سبيل إسرائيل تسمت باسم صهيون وهو جبل فى « القدس ! » ولم تنقطع محاولات اليهود خلال الانتداب البريطانى لامتلاك الأراضى والعقارات فى « القدس »

وللاستيلاء على بعض المقدسات الإسلامية وخاصة مكان البراق الشريف للتسرب إلى ساحة المسجد الأقصى المبارك لإعادة بناء هيكلهم ، ولكن هذه المحاولات لم تكف لتهويد القدس رغم الأموال الطائلة التي خصصتها اليهودية العالمية لذلك ، ورغم المساعدات التي تهيأت لليهود في ظل الانتداب الانجليزي الذي انتهى في مايو سنة ١٩٤٨ والعرب يكونون أكثرية القدس ويملكون ٩٢ ٪ من مجموع أراضيها وممتلكاتها وذلك بفضل ثبات أهل القدس وجهود الهيئات العربية والدينية والمجلس الإسلامي الأعلى ، حتى إن هيئة الأمم المتحدة في قرارها الذي أصدرته في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بالتقسيم الجائر لم تستطع وضع القدس في القسم اليهودي المقترح لصبغتها العربية . فلجأ اليهود إلى القوة لتحقيق ما يريدون ، وبدأوا بخديعة الهدنة المؤقتة في القدس عند دخول الجيوش العربية فلسطين ، ولولا فضل الله وحامية الأقصى من أهل القدس ومن المتطوعين لخاصت القدس كلها لليهود قبل أن يصل إليها جيش شرق الأردن ، ولكنهم استطاعوا أن يحتلوا القدس الجديدة التي تسلموا أكثرها بضاعة مزجاة من الانجليز عند مغادرتهم في آخر أيام الانتداب المشئوم ، ولم يسعهم في القدس القديمة إلا التسليم تحت وطأة هجوم المتطوعين (الكوماندوز) بعد فجر ليلة مباركة .



وهكذا بقيت القدس القديمة عربية مما جعل الكونت فولك برنادوت يوصي بضم القدس إلى القسم العربي . . وظل اليهود ماضين في عزمهم على تهويد بقية القدس وهم أولاء يقومون بحركات ومحاولات عسكرية . فقد عززوا قواتهم في مرتفعات القدس الجديدة وحشدوا قوات عسكرية في الأماكن المشرفة على القدس القديمة ، واحتشد كثير منها في منطقة (شنلر) وهي منطقة استراتيجية هامة للانقضاض منها على البلدة القديمة ، وثبت أيضاً أنهم حاولوا تهريب كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد إلى الجامعة العبرية ومستشفى هاداسا في المنطقة الحرام على جبل الزيتون الذي يتسلط على القدس القديمة وعلى ساحة المسجد الأقصى المبارك بصورة خاصة . وتدل جميع القرائن على أن اليهود يعتزمون توجيه ضربتهم إلى القدس لاحتلالها ومواجهة هيئة الأمم المتحدة في دورتها القادمة بالأمر الواقع كما هو ديدنهم ، ويقال أنهم سيستغلون في ذلك فرصة مشكلة العرش في شرق الأردن وظروف الانتخابات في أمريكا وحاجة المرشحين إلى الأصوات التي يملكها اليهود وأموالهم .

هكذا يقف المسجد الأقصى المبارك وحوله صف المسلمين الأول من أهل القدس في مهب خطر عاصف .

ماذا يفعل المسلمون إزاء ذلك ؟ ؟ إزاء مؤامرة تهويد القدس القديمة كما رأينا ؟ إن ساستهم الكبار يرون في اقتراح « التدويل » مخلصاً من الخطر ! مع أن تدويل القدس يحمل في طياته الشر المستطير لأهل القدس ولقضية فلسطين وللعرب أجمعين .

إن القدس ، أو ما بقي عربياً منها بتعبير أدق ، في وضعها الحالي مدينة منهوكة متهالكة كطير مهيض الجناح ، تعاني الفقر المدقع والركود الشامل والحرمان المرير . لقد كانت في عهد الانتداب مقر السلطة المركزية في فلسطين ، وعلى موقع يربط القسم الداخلي من البلاد شماله بجنوبه ، وعلى

مركز المرور بين الأردن والعراق وسائر الشرق من جهة ، والبحر الأبيض ومصر من جهة أخرى ، وكانت مركزاً لعدد وفير من القرى تصرف فيها منتوجاتها وتأخذ منها حاجاتها .

وفى كارثة فلسطين ارتزأت القدس بجميع ما كانت تتمتع به من ميزات :

فقد انتقل مقر السلطة المركزية إلى عمان ، وبذلك تحول عنها كثير من أهلها ولم يعد لسائر البلاد ما يربطها بها من هذه الناحية .

وباحتلال اليهود للقدس الجديدة ، وبسيطرتهم على القسم الغربى من البلاد لم تعد القدس مركز المرور بين الشرق ومصر والبحر المتوسط .

وكذلك بسيطرتهم على الجزء الهام المار بالمدينة من الطريق الذى يصل الداخل الشمالى بالجنوبى أفقدها ميزة الموقع ، وقد أنشئت طريق جديدة فى القسم العربي إلا أنها لا تغنى ذلك الغناء لسببين : أما الأول فلأنها أصبحت تربط بين عدد محدود من البلاد بين جنين فى الشمال والخليل فى الجنوب وقد كانت تربط من قبل بين سوريا عن طريق جسر بنات يعقوب ومصر عن طريق صحراء سيناء الداخلى إلى الاسماعيلية ، وأما السبب الآخر ، وهو يرجع إلى انتقال السلطة المركزية إلى عمان ، فإن ما بقى من مدن الشمال والجنوب قد وصلت بعمان رأساً بطرق جديدة لا تمر بالمدينة المقدسة .

وبالاحتلال أيضاً فقدت القدس أكثر القرى التى كانت تعتبر مركزاً لها .

وبيت المقدس مدينة هجرها كثير من أهلها انتجاعا للرزق ، ومع ذلك فإنها تضيق بسكانها وأكثرهم لاجئون من جميع البلاد ومن فى حكمهم ممن أجلوا عن أحيائهم المحتلة فيها ، وهؤلاء ليس فى طاقتهم انعاش المدينة وقوام عيشهم مخصصات وكالة غوث اللاجئين الدولية .

فالقدس الآن ، وهذا الحال حالها ، تتعلق بكل ما تحسب فيه خلاصها أو التخفيف عن وطأة ما تعانى من ضيق . وتدويلها قد يلاقى قبولا عند القلة من قصار النظر ممن يرون فيه مصلحة خاصة من الأمل فى استرداد ما فقدوا من أملاك باحتلال اليهود ، أو فى اتساع مجالات العمل فيها برفع الحدود التى تقسمها وفتح الطرق التى تتصل بها . غير أن السواد من قاطنيها مع هذه الشدة لا يستسيغون التدويل ، بل يأبونه ويرفضونه ، لأنهم يدركون خطر التدويل ويرون قبل غيرهم ما تنبئ به ارهاصات التدويل من أوخم العواقب وأشمل البلايا .

إن خطر التدويل يهدد المدينة المقدسة بضياع محقق .

إن تدويل القدس يعنى خروجها من نطاق المنازعة بين الدول العربية واليهود إلى الوضع الدولى فإذا كان فى العرب عزم لاسترجاع فلسطين المغصوبة وإعادة الأرض إلى أصحابها فإن الوضع الدولى فى بيت المقدس سيحيل ذلك إلى صعوبة مستحكمة ، بل إلى استحالة لا رادّ لها ، والشروع فى استنقاذ فلسطين معناه عداء عام لجميع الأمم .

ثم إن إشاعات التدويل قد أدت إلى نشاط ملحوظ من الأديرة والمؤسسات التبشيرية التى تغذيها أموال أجنبية وتقوم عليها مؤسسات أجنبية وهى جادة فى تملك الأراضى وبناء الأديرة فى القدس وحولها . وقد علمنا بصفقات تعقد ، ورأينا أحياء بكاملها فى صميم المدينة تهدم وينشأ مكانها بنايات كنسية أشبه فى نمط بنائها بالقلاع والحصون . ولا يزال هناك سماسرة ناشطون يعملون على تمليك هذه المؤسسات الأراضى والمنازل بكل وسيلة . إن هذا العمل لا يرضى المواطنين المسيحيين

بله المسلمين لأنهم يعلمون أنها منشآت تؤسسها أموال أجنبية وتمدها أغراض استعمارية لا تألو جهداً في تجريد المدينة من عروبتها وعزلها عن تاريخها . وقد حاولوا التملك في القسم المحتل فلم يفلحوا ، بل لقد وجدوا في إنشاء مدارسهم تحت السلطة اليهودية عنتاً ومقاومة سلبية جعلتهم يركزون جهودهم في قسمنا المنكود . وموظفوهم الذين يعملون هنا هم أنفسهم الذين فشلوا في إسرائيل .

ولنفرض أنه حم القضاء ، ونفذ تدويل القدس . إن الرائي البصير ليرى هول الكارثة وجسامة الخطر . إذ بذلك :

١ — تصبح المدينة المقدسة مركزاً لجاسوسية عالمية على جميع الأقطار العربية بحكم مركزها المتوسط لحساب كل طامع من الدول الغربية والشرقية على العموم ، ولحساب إسرائيل على وجه الخصوص .

٢ — تصبح المدينة المقدسة مركز تهريب لحاجات إسرائيل من البلاد العربية كالمواد الغذائية والأولية .

٣ — تصبح المدينة المقدسة مركز تصريف لإنتاج اليهود الصناعي الهائل الذي تعتمد عليه اقتصادياتهم لتوزيعه على أسواق البلاد العربية .

٤ — تصبح المدينة المقدسة مركزاً مالياً للنقد العالمي تتحكم فيه اليهودية العالمية باقتصاديات البلاد العربية ، والعالم يشهد بالسبق لليهود في هذا المضمار .

٥ — يكتسح اليهود المرافق الحيوية في المدينة لوفرة أموالهم وطموحهم إلى بلوغ غاياتهم وسيتولون التجارة والصناعة وستهيء لهم السلطات الدولية أسباب ذلك ، ولن يبقى للعرب من عمل إلا التافه الرخيص في الأعم الغالب كحمل الأثقال ومسح الأحذية والفعالة وبعض الأعمال الزراعية ، وحتى هذه ، لن تسلم من منافسة اليهود .

وفوق ما تقدم ، وأهم مما تقدم ، أن تدويل القدس يعني بطبيعة الحال رفع الحدود بين العرب واليهود فيها ومرور أهلها العرب بأعدى أعدائهم الغاصبين لأراضيهم وممتلكاتهم والمنتهكين لأعراضهم وحرماتهم والقاتلين لآبائهم وأبنائهم ! ! ! كيف يسوغ أن ترتفع هذه الحدود ويختلط العرب واليهود ؟ وكيف ننتظر أن يستقر الأمن في القدس على هذا الأساس ؟ ! إنه ليس إلا ضمان واحد ، وهو أن تتولى السلطة الدولية الكبت والتقييد ، وذلك هو الذل والصغار . . ثم أن الزمن كفيل بتحويله إلى رضى واستسلام يميتان الحمية ويبعدان عن الجهاد . وداهية الدواهي أن يفتح الجيل الجديد من الأمة عينيه على واقع يصعب معه تخيل سواه ، ويحكم على فلسطين بما حكم به على الأندلس من قبل ورحم الله المتنبي :

واحتمال الأذى ورؤية جانيـه غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منـه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجـرح بميت إيـلام

* * *

إن الساسة الذين لا يجدون للتهويد بديلا إلا التدويل ، ساسة إما قصار النظر نسوا تاريخ قرون طويلة من الحروب والمكائد بين أوربا الصليبية وبين المسلمين كان كل هدف الصليبية المتدينة من ورائها بيت المقدس ! ! ، أو يائسون ماتت حميتهم وغاب وازع الله في أنفسهم حتى

لم يعد المسجد الأقصى والأرض التى باركها الله حوله يعنى عندهم أكثر من جدران لا بأس أن يغشاها من كل نوحيها دنس الدنيا جميعاً ولا بأس أن يطغى على صوت المؤذن فيها دوى الأجراس وضحكات الغانيات من كل لون ورنين نقود اليهود ! ! . .

لسنا بهذه الكلمات نعنى هؤلاء الساسة . . . إنما نعنى بها المؤمنين الذين رأينا منهم أمثلة عالية قبل ثلاث سنوات على جبال فلسطين ووديانها . . . والذين دفنا الكثير منهم هناك برؤوس مهشمة وأجساد ممزقة وبدم مسفوح غزير . . . نعنى هؤلاء وحدهم — وهم فيما نعلم مبثوثون فى كل قطر من أقطار الإسلام — ليأخذوا حذرهم . . . ويعدوا عدتهم :

لسنا بهذا نحدد وقتاً ، فلذلك أهل اختصاص والإسلام دين نظام . . . وإنما نحن بذلك نشير إلى الطريق . . .

« وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » .

إيران :

عاد دولة الدكتور مصدق إلى رئاسة وزارة إيران قوياً مظفراً وتولى مع الرئاسة وزارة الحربية ، وجاء حكم محكمة العدل بعدم اختصاصها بنظر قضية البترول ضربة لانجلترا وانتصاراً ثانياً لمصدق . وقبض على السيد قوام السلطنة فى إحدى القرى القريبة من طهران ؛ وستجرى محاكمة بعض رجال البوليس الذى آذوا « الشعب البرئ » ! .

وكان للدور الذى قام به سماحة السيد آية الله الكاشانى الفضل الكبير فى صيرورة الأمر إلى ماصار إليه فإن قيادته الشعبية ومظاهرته لمصدق هى التى جعلت عودة مصدق أمراً لامحيص عنه .

وقد كان البيان الذى أصدره السيد الكاشانى بعد أن عهد جلالة الشاة إلى قوام السلطنة بتشكيل الوزارة قوياً . وكانت حملته فيه على أمريكا حملة شديدة إذ وصفها بأنها تعمل ذيلا لتنفيذ السياسة البريطانية وأن البريطانيين يسوقون «هؤلاء الأمريكيين» فى الطريق الذى ترسمه السياسة البريطانية ، وضرب لذلك مثلاجريهم وراء الصهيونيين فى البلاد العربية فأقاموا لهم دولة فى فلسطين تنفيذا لوعد بلفور البريطاني ولم يأبهوا بشعور الدول العربية والإسلامية بل هم يحاولون أن يكرهوها على أمرها ويلوحون لها بأن السبيل الوحيد لإنقاذها من الأزمات هو الصلح مع إسرائيل . ثم قال أنه يرجو على الرغم من بوادر الحملات التى تشنها الصحف الأمريكية على الحركة الوطنية فى إيران ألا يذهب الغباء بالأمريكيين إلى حد تأييد قوام السلطنه فإن فعلوا جلبوا الكراهية الشعبية فى إيران عليهم وعندئذ فلا يلومون إلا أنفسهم .

إن المسلمين جميعا يرفعون أكف الضراعة إلى الله أن يهيىء لإيران فى علاج مشكلتها أقوم السبل ، ويجمع شملها ، وأن يثبتها حتى نهاية الشوط فإن طريقها شائك وإن ثمن الحرية دائما غال عزيز . . . .

تونس :

- تكون وفد من مختلف الهيئات والجماعات فى تونس وقابل جلالة الباى بعد أن اقتحم « طوابير الحصار » حول القصر وقدم له مذكرة يعلن فيها رفض التونسيين جميعاً الاصلاحات التى تقدمت بها فرنسا ، وأنهم سيكافحون حتى آخر رجل .

ونحن ندعو الله أن يبارك الروح النامية فى تونس وأن يصل بها إلى مداها .

أخبار متفرقة

● شرعت بريطانيا فى نقل أعداد وفيرة من الجنود وحشد الآلات الحربية المختلفة ثم توزيعها على مناطق بعيدة عن الأنظار فى جبال ليبيا وصحاريها .

● صرح سامى الصلح رئيس الدولة اللبنانية ووزير خارجيتها بأن الحكومة لم توافق بعد على مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ولم ترفضه ، وقال أن مشروع الضمان الجماعى العربى ما زال معروضا على لجان البرلمان لدراسته .

● أصدر اللاجئون العرب فى نابلس والخليل ورام الله بيانا أكدوا فيه أنهم يفضلون البقاء فى محنتهم الحالية على أى مشروع لتوطينهم فى بلاد غير بلادهم ويعتبر بيان اللاجئين ردا على تصريح المستر بلاند فورد .

● صرح الدكتور نفيسى المتحدث الرسمي بلسان حكومة إيران بأن الدكتور مصدق صارح الشاه بأنه يجب على إيران أن تختار أمرا من اثنين : إما أن تحتفظ باستقلالها وتمضى فى طريقها دون إقامة أى اعتبار للارباح التى كانت تدرها آبار البترول وفى تلك الحالة يجب على المجلس أن يؤيد الدكتور مصدق فى مواصلة كفاحه كما سبق أن أيده فى عدة مناسبات . والأمر الثانى هو أن يقرر برلمان إيران أن أرباح شركة البترول أهم للدولة من الاستقلال وفى هذه الحالة سيتعين أن يعهد الشاه بالحكم إلى شخص آخر يكون مستعدا لقبول أى تسوية لشركة البترول وأعلن المتحدث نبأ العثور على أكثر من مائة وثيقة تثبت تدخل بريطانيا فى شئون إيران الداخلية وذلك فى مكتب استعلامات شركة البترول الانجليزية .

● صرح أمريكى مسئول بأن مصرع الملك عبد الله مهد السبيل لتعاون وثيق بين سوريا والمملكتين السعودية والأردنية ولا يستبعد أن تظهر بوادر الاتفاق والتعاون بين الدول الثلاث بعد فترة قصيرة فى الحقل العسكرى .

● من أنباء سيدار رابيدز فى ولاية أيوا الأمريكية أن الاختيار وقع على السيد عبد الله أجنام ليكون أول رئيس للجمعية السياسية لمسلمى أمريكا الشمالية التى تألفت هناك هذا الأسبوع وتهدف الجمعية الجديدة إلى تعزيز أواصر الصداقة والأخوة والتفاهم بين المسلمين فى أمريكا الشمالية كما تهدف إلى زيادة التفاهم بين المسلمين فى الولايات المتحدة وإخوانهم فى الوطن من ذوى المذاهب الأخرى .

● أبحرت إلى الصومال الإيطالى من بور سعيد بعثة الأزهر الشريف لنشر الثقافة الإسلامية .

● أبلغت الحكومة الفرنسية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن فرنسا قد تنسحب من هيئة الأمم المتحدة إذا استنكرت الجمعية العامة السياسة الفرنسية فى تونس .